د . فاروق عبدالسلام

إعجاز الكلمة فى القرآن

مركز المجتمع الإعلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»
٩الحجر

حديث شريف

روى الترمذى بسنــده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهــه فى الجنة أنه قال: «سمــعت رسول الله صلى الله تعــالى عليه وسلم يقــول: ستكون فتن كــقطع الليل المظلم، قلت: يارسولْ الــله وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم مــا بينكم، هو الفصل ليس بالــهزل من تركه من جــبار قصمه الله ومن ابتغى الهــدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المســتقيم وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تــتشعب معــه الآراء، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثــرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن إذ ســمعتــه أن قالوا «إنا سمــعنا قرآنا عجــبا يهدى إلى الرشد» من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صــراط مستقيم، خذها إليك يا أعور».

صدق رسول الله

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدى رسول الله المحمود هو الله والمصلى عليه محمد وآله.

إن القرآن معجزة الحق تبارك وتعالى لأهل الأرض منذ بعثة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وإلى قيام الساعة.

والقرآن كتاب الله هو الذى أنزله وهو الذى تكفل بحفظه. قال تعالى:

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»

وقبله استحفظ الحق تبارك وتعالى الناس على كتبه فلم يحفظوها وبدلوا وحرفوا فيها فأرسل رسوله الهادى الأمين وسيد المرسلين وخاتم النبيين بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

ولما اقتضت حكمته جل فى علاه أن تختتم الرسالات بحبيبه سيد ولد آدم ومن لانبى بعده كان من عدله ومن رحمته بعباده أن يتكفل هو بحفظ كتابه حتى يظل القرآن معجزة الإسلام الكبرى باق كما هو محفوظا بغير تبديل أو تحريف إلى يوم يبعثون أى بنفس تأثيره ونفس إعجازه فلا يحرم الخلف نعمة أنعم الله بها على السلف ولا يبتلى الخلف بما لم يبتل به السلف!



كما كان من عدله وعظيم حكمته وتدبيره أن تكون معجزة المعجزات ومعجزة خاتم الرسل والأنبياء كتابا محفوظا أى معجزة عقلية وعلمية تخاطب العقل وتناشد فى الإنسان أرقى ملكاته فتناسب البشر إلى يوم يبعثون، ويستطيع الخلف إدراكها وإدراك ما فيها من عظمة وإعجاز بنفس القدر كما السلف تماما!

وأوجه الإعجاز فى القرآن لا تحصى ولا تعد منها ما هو بلاغى وبيانى ومنها ما هو عقيدى ومنها ما هو تشريعى ومنها ما هو قصصى فيه نبأ من قبلنا ومنها ما هو غيبى فيه خبر ما بعدنا. ومنها ما هو بلغة العصر «إعجاز علمى» أى حقائق ذكرها القرآن وبعد أربعة عشر قرنا من الزمان وصل إليها العلم الحديث مثل الظلمات الثلاث فى بطن الأم وأطوار خلق الأجنة وكروية الأرض ومواقع النجوم والصعود إلى السماء وغيرها كثير وهى وإن كانت إعجازات علمية بحتة إلا أنها تدرج وتصنف تحت بند «خبر ما بعدكم» حسب حديث رسول الله إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن القرآن.

× وكثيرون على مر العصور كتبوا عن الإعجاز فى القرآن وكانت أكثر هذه الكتابات تركز على الإعجاز البلاغى والبيانى فى كتاب الله الكريم ومن هؤلاء على سبيل المثال وليس الحصر:

الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ والواسطى المتوفى سنة ٣٠٦هـ والرمانى المتوفى سنة ٣٨٢هـ والخطابى المتوفى سنة ٣٨٨هـ

والبـاقلانى المتـوفى سنة ٤٠٣هـ والجـرجانى المتـوفى سنة ٤٧١هـ والرازى المتوفى سنة ٦٠٦هـ وابن أبى الإصبع المتوفى سنة ٦٥٤هـ والزملكانى المتوفى سنة ٧٢٧هـ ومن العصر الحديث ومن مصر فقط وأيضا على سـبيل المثال مـصطفى الرافعى وكـتابه «إعجـاز القرآن» ومحمد أبو زهره وكتابه «المعجـزة الكبرى القرآن». وهذا فى الحقيقة نوع من التـأليف لا يقـدر على شرف الوصـول إليـه إلا الفطاحل من علماء اللغة.

×× هذا وفى القرن الأخيـر وبعد الثورة والطفرة العلميـة الحديثة وبعد الكشوف العلمـية المبهرة فى شتى مجـالات المعرفة لاحظ بعض كبـار المفكرين والعلمـاء من أبناء المسلمين تطابق ما وصل إليـه العلم الحـديث من حقـائق مع آيات وكلمـات بعـينها فى كـتـاب الله الكريم فبدأت مسـيرة البحث والتأليف فى مجال الإعـجاز العلمى فى القرآن. ومن المحاولات الأولـى فى هذا الشأن كتـاب «التاج المرصع بـجواهر القرآن والعلوم» لصاحبه «طنطاوى جوهرى» المتوفى سنة ١٩٤٠م.

ثم توالت الكتابات من مـفكرين وعلماء متـخصصين فى مـجالات مختلفة فى الطب والزراعة والفلك وغيـرها وفى مقدمتهم وعلى سبيل المثال وليس الحـصر بالتأكـيد الدكـتور مصطفى مـحمود والدكـتور عبدالرزاق نوفل وعالم الفلك الكبير الدكتور محمد جمال الدين الفندى وغيرهم كثير.

× وفى هذا الكتاب المتـواضع محاولة مـتواضعه تسـير على نفس الدرب مع الفارق فـهى محاولة للـبحث فى الإعجـاز الوارد والملحوظ فى كلمـات بعينها من كـتاب الله الكريم منهـا ما يمثل إعـجازا علمـيا ومنها ما يمثل إعـجازا تاريخيا فيه نبـأ من قبلنا أو إعجازا غيبـيا فيه خبر ما بعدنا. ومنها ما تعرض له غيرنا بالبحث من قبل ولكن الجديد هنا التركيـز على أمر مهم وقاسم مشـترك بين هذه الكلمات: وهو أن كل كلمة منها لو تأملها الباحث بروح علمية أمينة ومحايدة سواء كان مسلما أو غير مـسلم يخرج بعدها بنتيجة حتمـية لا تحتمل الجدل أو النقاش تقول إن هذه الكلمة بعينهـا وفى موضعها فى الآية الكريمة لا يمكن ومن رابع المستحيلات أن يقولها بشر بأى حال من الأحوال فى وقت قولها ونزولها وفى مكان قولها ونزولها أى فى الجزيرة العربية منذ أربعة عـشر قرنا من الزمـان! وهذا ما نعنى به إعجـاز الكلمة فى القـرآن. والله ولى التوفـيق والله من وراء القـصـد وعلى الله قصـد السبيل إنه نعم المولى ونعم النصير.

(١) تجرى

كـلام القرآن كله إعـجـاز فهـو كلام رب العـالمين ومعجزة الإسلام عند المسلمين ولكن هناك كلمات فى كتـاب الله تمثل بذاتها وبعينهـا إعجازا خـارقا لايسع الدارس لها والمتأمل فيـها من المسلمين وغير المسلمين إلا التسليم والإقـرار بإعجازها مـادام يصدر فى ذلك من منطلق علمى محايد وأمين.

من ذلك كلمة «تجرى» فى قوله تعالى فى سورة يس

«والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم»

«٣٨يس»

إن القرآن عند المسلم كتاب الله الكريم أنزله على نبيه الأمين.. وغير المسلم -ملحدا كان أو صـاحب دين- لايشهد بأن محمـد ابن عبد الله رسول الله وبالتالى ينكر القرآن كنص إلهى ويعـتقد أنه كتاب بشرى من وضع محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولو رجعنا إلى الوراء أربعة عشر قرنا من الزمان وتصورنا واحدا من البشـر يكتب ويؤلف عن الشمس لكان المسـتحيل بعـينه أن يكتب ويقول «والشمس تجرى».

إن من ينظر إلى الشمس بعينه المجـردة يراها ثابتة فى مكانها ولا يشعر بحركة لها تماما كـما لا نشعر بحركة الأرض ودورانها بنا مع الفارق! وبعد فترة يرى الشمس انتقلت مساحة ما فى الفضاء الواسع

من المشرق للمغـرب وهكذا دون أن يشعر بحركـة الانتقال هذه رؤية فما بالك جريا؟!

ولو حاول مؤلف أو أديب فى الزمن القديم وصف ذلك لجاز له أن يقول تحركت الشمس أو انتقلت الـشمس أو الشمس تمشى أو تتحرك ببطء وهكذا.. أمـا أن يقول تجرى فـهذا هو المسـتحـيل واللامعـقول يومها مـشاهدة وبإمكانيات العصر ومعلومـات العصر! إذ من أين له ذلك وهو لايراها تجرى؟ والجرى معلوم صفته لدينا كبشر؟!

وفى القرآن كلمة تجرى نجدها منسوبة لأشيـاء أخرى يشـهد فيها الإنسان بعـينه المجردة حـركة الجرى ويحـسها واضـحة مـثل قوله تعالى:

«تجرى من تحتها الأنهار»

«والفلك تجرى فى البحر»

«فسخرنا له الريح تجرى»

والإنسـان قديما وحديـثا يدرك فعـلا معنى الجـرى ويلمسـه فى مشاهـدته لحركة الأنهار والفلك والريح أمـا بالنسبة لحركـة الشمس فالإنسان قـديما لايفهم ولايستـوعب معنى الجرى فى حركـتها.. ولا يقول به إن كان القائل بشرا بأى حال من الأحوال!

وبعد أربعة عشـر قرنا من الزمان وبعدما تقدمت البـحوث الفلكية وعـرف الإنسـان التلسـكوب والنظارات المعظمـة والمناظـيـر الفلكيـة

وحدثت ثورة فـى معلوماته عن الـكواكب والنجوم والمذنبـات وعرف كثيرا عن الأرض والشمس والقمر والمجمـوعة أو العائلة الشمسية بل وآلاف المجموعات الشمسية الأخرى وسكة التبانة..

وبعد ما عرف بعض أسرار كـون الله الواسـع وفى العصر الحديث عرف الإنســان أن الشمس فعلا تجـرى! وكما يقول الفلكيـون تجرى بسرعة اثنى عـشر ميلا فى الثانيـة! نعم بسرعة اثنى عشـر ميلا فى الثانية! الأمر الذى سبق به القرآن العلم البشرى بأربعة عشر قرنا من الزمان! وياله من إعجـاز فى كلمة واحدة من كلمات كـتاب الله! كلمة «تجرى» فى قوله تعالى: «والشمس تجرى لمستقر لها».

«٣٨ يس»

(٢) سيغلبون

من كلمات الإعجاز فى كتاب الله كلمة «سيغلبون» فى قوله تعالى فى سورة «الروم»:

﴿غلبت الروم. فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون﴾

إن الذين ينكرون النص القرآنى كنص إلهى من الملحدين والعلمانيين وأصحاب الأديان الأخرى من غير المسلمين عليهم أن يتأملوا هذه الآية بنظرة موضوعية محايدة وأمينه. وأن يتوقفوا طويلا عند كلمة «سيغلبون»! لأنه لو كان القرآن من وضع واحد من البشر ما أقدم بأى حال وبالعقل والبديهه على وضع وتأليف هذه الآية وبالذات كلمة «سيغلبون». لقد أنزل القرآن وأنزلت هذه الآية فى وقت كان فيه الروم مغلوبين من الفرس والآية تخبر عن مجهول يقع فى المستقبل وتقول بأن الروم المهزومين سيغلبون وأكثر من هذا فى بضع سنين؟!

ولو كان القرآن من تأليف واحد من البشر لتردد ألف مرة قبل كتابة هذه الآية وعمل ألف حساب للفرض والاحتمال الآخر لأنه لو كتب أن الروم سيغلبون فى ظرف عامين أو ثلاثة ولم يحدث أن غلب الروم سقطت الهيبة عن كتابه والثقة فى كلامه وكذبه الناس وانفض من حوله الأتباع والأنصار وفرح فيه وتمكن منه الأعداء.

نعم لا يقول هذا أو يخاطر به بشر! ولا تصدر عن بشر إلا إذا نزل عليه ذلك بوحى ممن خلق الروم والفرس ويعلم أن الروم سيغلبون وفى بضع سنين.

× وأعجب من هذا ما ورد فى رواية ابن جرير باسناده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه حيث قال المشركون لأبى بكر حينما نزلت هذه الآية:

«يا أبا بكر.. إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس فى بضع سنين.. قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك؟- وكان هذا قبل تحريم الرهان بوصفه من الميسر- وتقول الرواية «فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين. فمضت السبع ولم يكن شىء. ففرح المشركون بذلك. وشق ذلك على المسلمين فذكروه للنبى فقال لهم عليه أفضل الصلاة والسلام: «ما بضع سنين عندكم؟» قالوا: دون العشر «فقال الرسول لأبى بكر كما تذكر الرواية:

«اذهب فزايدهم وازدد سنتين فى الأجل».

هكذا بكل الثقة واليقين والباقى من العشرة ثلاثة سنين:

«اذهب فزايدهم وازدد سنتين فى الأجل»

وما مضت سنتان كما تقول الرواية حتى جاءت الركبان بظهور الروم على الفرس ففرح المؤمنون بذلك.

× إن أصحاب الدعوات والمذاهب الوضعية لا يجازفون ولا

يخاطرون ولا يقامـرون فى دعواتهم فلا يخبر الـواحد منهم بغيب أو يطرح نبوءات مستقبلية مباشرة وفى نتيجة حرب مع القطع والتحديد بعامين أبدا وإلا فقد كل شىء إذا لم تصدق النبوءة.

ولا يقـولها والله ويقـدم عليهـا ويقطع بها بكل الثـقة واليـقين إلا صاحب وحى لا ينطق عن الهوى.

وصدق الله العظيم: «وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى»
«٣-٤ من سورة النجم»

(٣) يكور

من كلمات الإعجاز فى كتاب الله الكريم كلمة «يكور» فى قوله تعالى فى الآية الخامسة من سورة الزمر:

«خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل»، والتعبير عن تعاقب الليل والنهار هنا بكلمة «يكور» تعبير عجيب يعجب له الإنسان المعاصر كل العجب بعدما قطعت البشرية هذا المشوار الطويل على طريق البحث العلمى والكشوف الفلكية العلمية.

إن تفسير كلمة «يكور» هنا عند الأوائل ومن واقع تفسير القرطبى على سبيل المثال: «قال الضحاك: أى يلقى هذا على هذا وهذا على هذا. وهذا على معنى التكوير فى اللغة وهو طرح الشىء بعضه على بعض. يقال: كور المتاع أى ألقى بعضه على بعض ومنه كور العمامة، وقد روى عن ابن عباس هذا فى معنى الآية قال: ما نقص من الليل دخل فى النهار وما نقص من النهار دخل فى الليل. وقيل تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة».

× وما كان لهم يومها أن يفسروها بأكثر أو أحسن من هذا! وما كان فى مقدورهم واستطاعتهم اكتشاف ما فى كلمة «يكور» هنا من عظمة وإعجاز لا تدركه عقولهم أيامها! ذلك لأن اعتقادهم واعتقاد

البشرية كلها عن طبيعة الأرض أيامها أنها منبسطة وثابتة فى مكانها يتعاقب عليها طرح الليل والنهار على التوالى أى «طرح هذا» على «هذا» وإلقاء هذا على هذا! فالقرآن نزل فى القرن السادس الميلادى!

وبعد ذلك بحوالى تسعة قرون تقريبا وعلى وجه التحديد فى السادس من سبتمبر ١٥٢٢ عادت سفن ما جلان إلى الميناء الإسبانى «سان لوكاردى باراميدا» وهو الميناء الذى انطلقت منه قبل ثلاثة أعوام فتأكد بذلك يومها للعالم وفى ذلك التاريخ فقط وبما لا يدع مجالا لأى شك أن الأرض كروية الشكل. وتوالت بعد ذلك الكشوف العلمية وعرف الإنسان بعدها أن هذه الأرض الكروية ليست ثابتة فى مكانها وإنما تدور حول نفسها وتدور حول الشمس فكان لتعاقب الليل والنهار معنى آخر وتفسير آخر يظهر لنا مدى العظمة والعجب فى كلمة يكور الواردة فى كتاب الله الكريم بعد اكتشاف كروية الأرض ودورانها فى نفس الوقت مما جعل صاحب الظلال وشهيد الإسلام الإمام سيد قطب يقول فى تفسيره حول تعبير «يكور» فى الآية: «وهو تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسرا على الالتفات إلى ما كشف حديثا عن كروية الأرض ومع أننى فى هذه الظلال حريص على ألا أحمل القرآن على النظريات التى يكشفها الإنسان لأنها نظريات تخطىء وتصيب وتثبت اليوم وتبطل غدا والقرآن حق ثابت يحمل أية صدقه فى ذاته ولا يستمدها من موافقة أو مخالفة لما

يكشفه البـشر الضعاف المهـازيل. ومع هذا الحرص فإن هذا التعـبير يقسـرنى قسرا على النظر فى مـوضـوع كروية الأرض، فهـو يصـور حقيقة ماديـة ملحوظة على وجه الأرض، فالأرض الكروية تدور حول نفسها فى مواجهة الشـمس فالجزء الذى يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهارا ولكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذى كان عليه النهار وهذا السطح مكور فالنهار كان عليه مكورا والليل يـتبعه مكورا كذلك وبعد فترة يبدأ النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل وهكذا فى حركة دائبة «يكور الليل على النهـار ويكور النهار على الليل». واللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع ويعين نوع طبـيعة الأرض وحركتـها، وكروية الأرض ودورانها يفسران هذا التعبيـر تفسيرا أدق من أى تفسير آخر لا يستصحب هذه النظرية».

× والذين ينكرون القـرآن كنص إلـهى ويعتـبـرونه نصـا بشـريا نسألهم وبأمانة علمية محايدة: ترى هل يمكن أن تكون كلمة يكور هنا قد وردت منذ أربعة عشر قـرنا من الزمان ويزيد من باب «المصادفة» البحتة أو البلاغة الأدبية؟!

(٤) الملك و فرعون

من كلمات الإعجاز فى كتاب الله الكريم كلمة «الملك» فى سورة يوسف عليه السلام وكلمة «فرعون» فى كل ما ورد من قصص فى كتاب الله عن نبى الله موسى عليه السلام، وموطن الإعجاز هنا أن القرآن الكريم يتحدث عن حاكم مصر فى عصر نبى الله يوسف عليه السلام بلقب «الملك» ويتحدث عنه فى عصر نبى الله موسى عليه السلام بلقب «فرعون».

وفى ذلك وحده من وجوه الإعجاز ما يفوق كل تصور؛ ذلك لأن الرأى الغالب بين المؤرخين والعلماء اليوم أن يوسف عليه السلام كان فى مصر فى ظل حكم الهكسوس أو الملوك الرعاة ما بين عهد الأسرة الثالثة عشرة والسابعة عشرة أو ما بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة فى رأى آخر.

والهكسوس ينتمون إلى قبائل هند وأوربية هاجرت عام ٢٠٠٠ ق.م من ربوع آسيا إلى بلاد ما بين النهرين أى العراق ثم سوريا ثم غزوا مصر وحكموها ابتداء من عام ١٧٣٠ ق.م تقريبا، وحكامهم يسمون ملوكا ولا يقال عنهم فراعنة!

وكلمة هكسوس تعنى فى اللغة المصرية القديمة «الخنازير» أو رعاة الخنازير ويقال هى تحريف لكلمة مصرية هى حقا خاسوت أى حكام البلاد الأجنبية، وتم طردهم من مصر على يد أحمس بتأسيس

«الأسرة الثامنة عشرة» عام ١٥٨٠ ق.م.

ولأن نبى الله يوسف -عليه السلام- كان فى مصر فى عهدهم فقد أحبوه بفضل الرؤيا التى فسرها للملك وأنقذت مصر من المجاعة.. هذا من جانب واحتملوه بعقيدته من جانب آخر؛ لأنهم فى آسيا من قبل عاصروا آباءه إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام واعتادوا سماع وتقبل ديانة التوحيد منهم! ولما استرد الفراعنة العهد بعد ذلك وعاد إلى حكامهم لقب فرعون المعروف راحوا يقاومون ديانة التوحيد عند ذرية يعقوب ويوسف عليهما السلام وفى ذلك يقول شهيد الإسلام «سيد قطب»: «فلما استرد الفراعنة زمام الأمور فى الأسرة الثامنة عشرة أخذوا يقاومون ديانة التوحيد ممثلة فى ذرية يعقوب التى تكاثرت فى مصر لإعادة الوثنية التى تقوم عليها الفرعونية».

× وأحدث الأبحاث الجيولوجية تقول إن بركانا مروعا وقع فى جزيرة سانتورينى اليونانية سنة ١٦٢٨ ق.م أدى إلى انتشار السحب التى غطت السماء ما بين تركيا ومصر فأدت إلى الجفاف وموت النباتات والمجاعة التى تنبأ بها نبى الله يوسف عليه السلام لملك مصر فى تفسيره لرؤياه، وهذا يؤكد وجود يوسف عليه السلام فى مصر ما بين ١٧٣٠ ق.م و١٥٨٠ ق.م أى فى عهد الملوك الرعاة أى الهكسوس فجاء لقب الحاكم على مصر فى زمانه بلقب «الملك» وهو

فى أغلب الأقوال الملك «خبان»!

× بينما فى عهد نبى الله موسى عليه السلام يلقب الحاكم بفرعون لأنه بعث فى ظل أسرة فرعونية بحتة وفى أغلب الأقوال فى ظل الأسرة التاسعة عشرة فى عصر «منفتاح» فرعون مصر.

ومع توالى الكشوف العلمية: تاريخية وجيولوجية وغيرها يزداد المسلم يقينا بكتاب الله الكريم ولا مشكلة لديه!

أما أصحاب المشكلة بحق فهم غير المسلمين الذين مازالوا يعتقدون أن القرآن الكريم مجرد نص بشرى بليغ لأنه لو كان الذى وضع القرآن بشر على حد قولهم وجب عليهم هم إقناعنا بأن هذا البشر كان على ثقافة ومعرفة تاريخية وكان لديه من المراجع والكتب التاريخية ما يمده بالمعلومات الموثقة والكافية عن الهكسوس والفراعنة ومصر وآسيا وزمان أنبياء الله يوسف وموسى عليهما السلام! وذلك لأنه من غير المعقول ومن منطلق علمى محايد وأمين أن يقول قائل أو يتصور عاقل أن لفظ الملك فى سورة يوسف عليه السلام ولفظ «فرعون» فى قصص موسى عليه السلام فى القرآن الكريم إنما وردا هكذا من باب المصادفة!!

(٥)
ثلاث

من كلمات الإعجاز فى القرآن الكريم كلمة «ثلاث» فى قوله تعالى فى سورة «الزمر» الآية السادسة:

﴿يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلماتٍ ثلاثٍ﴾

والظلمات الثلاث فى تفسير الأقدمين فى مذهب أبى عبيدة: ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم. وقال ابن جبير: ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل. وعند ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك هى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة. وهذا القول عند القرطبى هو الأصح. وهو كذلك عند مفسرى العصر الحديث فهى عند شهيد الإسلام سيد قطب فى تفسيره الظلال: " ظلمة الكيس الذى يغلف الجنين وظلمة الرحم الذى يستقر فيه هذا الكيس وظلمة البطن التى يستقر فيها الرحم.

× والكيس وهو المشيمة بالتعبير الدارج والمشهور «الخلاص»، وسمى بذلك لأنه بنزول هذا الكيس يكون الانتهاء أى الخلاص من عملية الولادة لأن الخلاص ينزل ويدفعه الرحم فى نهاية المطاف وبعد نزول الجنين.

× وظلمة البطن معروفة ومفهومة وظلمة الرحم أيضًا معروفة ومفهومة، أما ظلمة الكيس أو الخلاص الذى يغلف الجنين فهى

معروفة ومفهومة لـنا الآن فقط بعد ما تقدم الطب وعرف الأطباء علم التشريح بـتفاصيله وعلم الأجنة بتـفاصيله وعرف الطب التـشـخيص بالأشعـة العادية ثم الأشعـة التليفزيونيـة أى الأشعة بالموجـات فوق الصوتـية وتبين لنا حـقيقـة وعن يقين وضع الجنين مـغلفا ومـحاطا بالكيس فأصبح يشكل من حوله ظلمة كسائر الظلمات تعد واحدة من الثلاث.. وهذه الإحاطة وهذا التـغليف من جانب الكيس يؤدى وظائف حيوية للجنين أهمها حمايته مما يتعرض له بطن الأم طوال أيام حملها وفى كل تحركاتها من خبطات وإصابات.

وقبل تقدم الطب وقبل الكشف بالأشعة ومنذ أربعة عشر قرنا من الزمان لم تكن الصورة كذلك فى أذهان ومـخيلة الناس.. فهذا الكيس ينزل مفـجرا وخاليا بعـد نزول الجنين! فمن أين لهم المعرفـة واليقين بأنه من قبل وفى رحم الأم كان محيطا بهذا الجنين ويشكل ظلمة من الظلمات حـوله؟ ومن هنا كانت التفـسيرات الغـريبة بحثـا عن الظلمة الثـالثة فـالبـعض قـال ظلمة صلـب الرجل والآخر قـال: ظلمـة الليل وهكذا.. وهم فى ذلك معذورون!

× والذين ينكرون القرآن كنص إلهى من علمانيـين وملحدين وغير مسلمين ويعـتقـدون أنه من وضـع بشر نسألهم بـأمانة: هل يمكن أن تكون كلمة ثلاث هنا جاءت بمحض المصادفة، وهل يقبل المنطق العلمى المحـايد والأمين ذلك عن طيب خاطـر واقتناع، ومن أين لمن عـاش فى

صحراء الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان أن يعرف علم التشريح وعلم الأجنة فيجعله يتحدث بيقين عن ظلمات ثلاث حول الأجنة فى بطون أمهاتها ويحددها بثلاث! وماذا لو ثبت بعد ذلك إنها ظلمات أربع أو خمس أو ست؟!

ولكنه وأيم الله كلام رب العالمين خالق الخلق أجمعين ورب العرش العظيم.. وساء مصير المنكرين والمكابرين بغير علم.

(٦) جبال

من كلمات الإعجاز فى القرآن كلمة «جبال» فى قوله تعالى فى سورة النور الآية ٤٣:

«وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء».

والبرد فى المعجم الوسيط هو الماء الجامد ينزل من السحاب قطعا صغارا ويسمى حب الغمام وحب المزن.

والتعبير بكلمة جبال هنا تعبير عجيب اختلف فيه المفسرون ومن واقع تفسير القرطبى قيل: خلق الله فى السماء جبالا من برد فهو ينزل منها بردا ونحو هذا قول الفراء. فالجبال عنده هى البرد.

وقيل إن الله تعالى خلق فى السماء جبالا فيها برد. وقيل: المعنى وينزل من السماء قدر جبال أو مثل جبال من برد إلى الأرض.

وقال الأخفش: إن «من» فى الجبال وبرد زائدة فى الموضعين والجبال والبرد فى موضع نصب أى ينزل من السماء بردا يكون كالجبال.

× والتعبير عن السحاب بكلمة جبال تعبير عجيب لا يصدر عن بشر بأى حال عاش فى الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان فمن يا ترى على زمانهم ينظر من على سطح الأرض إلى السماء ويصف السحاب فيها بالجبال؟

وفى نفس الوقت لم يكن هذا النوع من أنواع التعبير القرآنى يمثل مشكلة بالنسبة إلى المسلمين الأوائل على زمان بعثة المصطفى عليه

أفضل الصلاة والسلام فقد آمنوا بأنه وحى يوحى وأنه كلام الله وفيه من الإعجاز ما قد تخفى حكمته على جيلهم فهو كلام رب العالمين إليهم ولمن بلغ ولمن يجيء من بعدهم إلى يوم يبعثون وحتى تقوم الساعة!

× وعن قوله تعالى فى سورة عبس «وفاكهة وأبا» قال إبراهيم التيمى سئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن تفسير الفاكهة والأب فقال: أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت: فى كتاب الله ما لا أعلم.

وقال أنس: سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ هذ الآية ثم قال: كل هذا قد عرفناه، فما الأب؟ ثم رفع عصا كانت بيده وقال: هذا لعمر الله التكلف. وما عليك يا ابن أم عمر ألا تدرى ما الأب؟ ثم قال: اتبعوا ما بُين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه.

× واليوم وبعد نزول القرآن بأربعة عشر قرنا من الزمان وبعدما اخترع الإنسان الطائرة وركبها وصعدت به فى عنان السماء تخترق السحب ندرك جيدا مدى العظمة والإعجاز الإلهى فى كلمة «جبال» الواردة فى قوله تعالى: «وينزل من السماء من جبال».

ويصف ذلك بأسلوبه البديع شهيد الإسلام سيد قطب فيقول:

«ومشهد السحب كالجبال لا يبدو كما يبدو لراكب الطائرة وهى تعلو فوق السحب أو تسير بينها فإذا المشهد مشهد الجبال حقا بضخامتها ومساقطها وارتفاعاتها وانخفاضاتها. وإنه لتعبير مصور للحقيقة التى لم يرها الناس إلا بعدما ركبوا الطائرات».

(٧) تسعا

من كلمات الإعجاز فى القرآن الكريم كلمة «تسعا» فى قوله تعالى فى سورة الكهف الآية ٢٥:

«ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادو تسعا»

والآية الكريمة تخبر رسول الله عن المدة التى لبث فيها الفتية رقودا فى الكهف وهى ثلاث مائة سنين ولا خلاف إلى هنا فى التفسير ولكن خلاف العلماء يقع على ما بعد ذلك أى حول قوله «وازدادوا تسعا» وبالذات حول كلمة تسعا. وهو خلاف على شقين: شق نوعى وآخر كيفى.

«**نوعى**» من حيث نوع هذه التسعة وهل هى ساعات أم أيام أم شهور أم سنين؟

قال القشيرى: لا يفهم من التسع تسع ليال وتسع ساعات لسبق ذكر السنين كما تقول عندى مائة درهم وخمسة والمفهوم منه خمسة دراهم.

و«**كيفى**» من حيث كيفيتها! وهل هى زيادة فى الحساب وزيادة فى اللبث والرقود أى تسعة أخرى «من» السنين غير الثلاثمائة التى لبثها الفتية فى الكهف فيكون مجموع العدد ثلاثمائة وتسعا أم أنها تسع من حيث كيفية حساب التقويم وهل هو شمسى أم قمرى؟

× والحقيقة أن أحدا لا يستطيع أن يجزم بأنها زيادة فى اللبث

والرقود إلا إذا ورد القول صريحا بذلك كما هو المعهود فى لغة العرب فيقال مرة واحدة ثلاثمائة وتسعا! أما أن تأتى التسعة وحدها فى جملة جديدة مفيدة ومعطوفة بحرف الواو ففى الأمر سر وإعجاز ودعوة تدفع الباحث دفعا نحو السعى وراء معرفة ذلك!

×× وحقيقة الأمر أن الفتية فى أغلب الأقوال وجدوا من حيث الزمان بعد عيسى عليه السلام -بفترة وفى عهد بقية من الحواريين ومن حيث المكان فى موضع ببلاد الشام وعلى الأغلب بالأردن. والفتية كانوا بذلك فى زمان ومكان يتبع يومها الدولة الرومانية ويتم الحساب على زمانهم بالتقويم الشمسى. فقد كانت روما تستعمل التقويم القمرى حتى جاء «يوليوس قيصر» إلى الإسكندرية ووجد فيها التقويم المصرى على الدورة الشمسية فنقله معه إلى روما وأخذ به الرومانيون بعد إضافة يوم كل أربع سنوات كما هو معلوم فتكون ثلاث سنوات كل منها بسيطة ٣٦٥ يوما وسنة رابعة كبيسة ٣٦٦ يوما ثم دخله بعد ذلك تعديل طفيف سنة ١٥٨٢ ميلادية بواسطة مجمع الكرادلة برئاسة البابا جريجوار الثالث عشر فسمى بعدها التقويم الجريجورى نسبة لهذا البابا وهو المعمول به فى العالم حتى الآن.

ولما كان الخطاب عن الفتية وقد عاشوا فى زمان ومكان يؤخذ فيهما بالتقويم الشمسى كانت المدة بحساب وتقويم أيامهم ثلاثمائة

سنة ولما كان الخطاب إلى رسول الله وفى علم الله وبتوجيه من كتابه أن أمته ستأخذ بإذن الله فى تقويمها لعدد السنين والحساب بالتقويم القمرى كانت هذه التسع وهذه الزيادة هى الفارق بين التقويمين الشمسى والقمرى. وفى ذلك يقول القرطبى:

«فلما كان الإخبار هنا للنبى العربى ذكرت التسع إذ المفهوم عنده من السنين القمرية وهذه الزيادة هى ما بين الحسابين. ونحوه ذكر الغزنوى. أى باختلاف سنى الشمس والقمر لأنه يتفاوت فى كل ثلاث وثلاثين وثلث سنة سنة فيكون فى ثلثمائة تسع سنين».

× ومن المعلوم أن التقويم القمرى أى الهجرى أخذت به الدولة الإسلامية رسميا فى عهد الفاروق عمر. ونسأل هل يمكن أن تكون تسعا هنا فى الآية قد جاءت مصادفة! وبمحض المصادفة أيضا تساوى «التسعة» الفارق بين التقويم الشمسى والقمرى لمدة قدرها ثلثمائة سنه.

ولو كان واضع القرآن بشرا كما يعتقد الملحدون من أين لبشر يعيش فى الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وزيادة بين قوم يأخذون فى التقويم بالأحداث الكبرى كعام الفيل أو حرب البسوس من أين له العلم بأن العرب والمسلمين مستقبلا سيأخذون بالتقويم الهجرى وأن الفارق بين الميلادى والهجرى لمدة ثلاثمائة سنة يساوى «تسعا» بالضبط؟!

(٨) ونقلبهم

ومن كلمـات الإعـجـاز فى القـرآن الكريم كلمـة «ونقلِّـبهم» فى قوله تـعالى فى سورة الكهف الآية ١٨:

«وتحـسبـهم أيقـاظا وهم رقـود ونقلبـهم ذات اليمين وذات الشمال»

والفتية أصحاب الكهف لبـثوا فى كهفهم نائمين ثلاثمائة سنين! نعم أحيـاء لكن بقدرة الله ومشيئـته نائمين هذا العدد من السنين قرونا ثلاثة من الزمان وما شاء الله كان وفى تفسير قوله تعالى عنهم «ثم بعـثناهم» يقول القرطبى: «أى من بعد نـومهم ويقال لمن أحيـى أو أقيم من نومـه: مبعـوث لأنه كان ممنـوعا من الانبـعاث والتصرف».

ولما قضت إرادة الله ومشيـئته أن يظلوا نائمين طوال هذه المدة من السنين هيأ لهم الحق تبارك وتعالى من الأسباب ما يحفظهم على هذا الحال نائمين! ولا يقطع نومهم ولا يوقـظهم من نومههم إلا يد أجنبى تحركهم أو تمتد إليـهم أو صوت عال يرتفع بجوارهم فيوقـظهم فهيأ لهم الحق تبـارك وتعالـى كلبهم يحـرسهـم من أن تمتد إليـهم أى يد أجنبية. وأما بالنسـبة للأصوات الخارجية قال تـعالى: «فضربنا على أذانهم» وفى ذلك يقول قطرب: هذا كقول العرب ضرب الأمير على يد الرعيـة إذا منعهم الفساد. وورد فى تـفسير القـرطبى عن ذلك: «وأما

تخصيص الآذان بالذكر فلأنها الجارحة التى منها عظم فساد النوم وقلما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه ولا يستحكم نوم إلا من تعطل السمع».

ولما قضت مشيئة الله وإرادته أن يظلوا نائمين طوال هذه المدة ثلاثة قرون كان هناك بالنسبة لحالهم ما هو أهم وأمعن وأعجب فى الإعجاز واختصه الله بقوله «ونقلبهم»!

والنون فى الكلمة هنا تخص الحق تبارك وتعالى وفى ذلك يقول القرطبى: «وظاهر كلام المفسرين أن التقليب كان من فعل الله ويجوز أن يكون من ملك بأمر الله فيضاف إلى الله تعالى. وقال أبو هريرة: كان لهم فى كل عام تقليبتان. وقيل فى كل سنة مرة. وقال مجاهد: فى كل سبع سنين مرة. وقال ابن عباس: لئلا تأكل الأرض لحومهم».

ويقول علم الطب الحديث ويشدد وينبه ويحذر علم التمريض الحديث بالنسبة لمن يصابون بأمراض تلزمهم الفراش لمدة طويلة كالمصابين بكسور أو بالشلل أو بغيره ألا يظلوا فى رقودهم فى الفراش لمدة أطول من اللازم دون تقليبهم بين الحين والحين وذلك حماية لهم ووقاية لهم من أن يصابوا بما هو معروف ومشهور باسم: قرحة الفراش Bed Ulcer أو Bedsore ذلك لأن بقاء جزء أى جزء من جسم الإنسان ملتصقا بالأرض أو الفراش مدة طويلة يحبس وصول الدم للجلد الملاصق لهذا الجزء المضغوط فيموت الجلد مع

الزمن ويسقط من هذا الجزء كاشفا تحتة ما هو معروف باسم «القرحة» والتقليب من عدمه هنا مسألة حياة أو موت!

ولما شاءت إرادة الله أن ينام أهل الكهف ثلاثمائة سنين متصلة كان فعل التقليب أمرا ضروريا وحيويًا لدرجة أن ينبه الحق تبارك وتعالى له ويعلمنا إياه منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان وينسبه الحق تبارك وتعالى لذاته بقوله «ونقلبهم».

وهذا والله ما نعنيه بقولنا إعجاز الكلمة فى القرآن! كلمة واحدة تمر عليها فلا تملك نفسك من أن تتوقف فى الحال وتتأمل مرة ومرات وتردد وفى نفسك ألف حسرة على المنكرين لكتاب الله ومن لا يتدبرون آياته: أيمكن أن تكون هذه الكلمة فى وقت نزولها من قول بشر؟ أم وردت هكذا عفوا وبالمصادفة! لا والله إن كلمة «ونقلبهم» هنا لا يمكن أن تكون من قول بشر وصدق الله العظيم «إن هو إلا وحى يوحى».

(٩) لتركبن و طبقا

من كلمات الإعجاز فى القرآن كلمة «لتركبن» وكلمة «طبقا» فى قوله فى سورة الإنشقاق:

«فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق. والقمر إذا اتسق. لتركبن طبقا عن طبق».

منذ نزول القرآن الكريم وبعثة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وحتى عام ١٩٦٨ ميلادية أى على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان كان المفسرون لكتاب الله يفسرون الركوب فى قوله تعالى «لتركبن» والطبق فى قوله تعالى «طبقا عن طبق» تفسيرا معنويا! فتفسير الركوب عندهم كقولهم «إن المضطر يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه». وتفسير الطبق بالحال.

وعلى ذلك فسرها شهيد الإسلام سيد قطب بقوله:ـ «لتركبن طبقا عن طبق».. أى لتعانون حالا بعد حال وفق ما هو مرسوم لكم من تقديرات وأحوال.

وقديما قال فيها الحسن «أمرا بعد أمر رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء وغنى بعد فقر وفقرا بعد غنى وصحة بعد سقم وسقما بعد صحة» وقال سعيد بن جبير «منزلة بعد منزلة» وقراها ابن مسعود وابن عباس وغيرهم «لتركبن» بفتح الباء خطابا للنبى أى لتركبن يا محمد حالا بعد حال. وقيل لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ودرجة

بعد درجة ومرتبة بعد مرتبة فى القربة من الله.

وفى ١٦ يناير ١٩٦٩ نجح رواد الفضاء لأول مرة فى القيام بعملية التحام بين سفينتى فضاء يخرج فيها رائد الفضاء من سفينته أو مركبته ليسبح حولها ثم يأخذ مكان زميله فى السفينة الأخرى والعكس بالنسبة لزميله وعادت السفينتان بالرواد بسلام إلى سطح الأرض.

وفى صباح يوم الأثنين ٢١ يوليو ١٩٦٩م نجح رائدا فضاء أمريكيان لأول مرة فى تاريخ البشرية فى الهبوط على سطح القمر.

والحقيقة أن نجاح الإنسان فى الانتقال فى الجو من مركبة فضائية إلى أخرى كان قمة النجاح ونقطة التحول وفاتحة الفلاح فى عالم غزو الفضاء وإلى أبعد مدى! فقد سهل ذلك عليه إمكانية الوصول إلى أى مسافة وإلى أى كوكب فيما بعد وإلى أى وأبعد مدى على مراحل وعبر محطات فضائية يجدد منها إنطلاقه من جديد بمركبات جديدة وصواريخ جديدة و«قوة دفع وإنطلاق جديدة»!

وبعد نجاحه فى الهبوط على سطح القمر أصبح فى إمكانه اتخاذ سطح القمر نفسه محطة فضاء يسهل عليه الإنطلاق منها بعد ذلك لكواكب ومسافات أخرى أبعد على نفس الأساس بل وبقوة دفع أقل لأن جاذبية القمر كما هو معلوم أقل بكثير من جاذبية الأرض والخروج منها يحتاج لجهد أقل وقوة دفع أقل.

وبعد هذا الكشف والفتح العلمى المذهل وهذا الشوط الناجح والكبير والذى قطعه الإنسان على طريق غزو الفضاء يقف الإنسان المعاصر الأمين والمحايد مذهولا أمام كلمات ثلاث وردت فى كتاب الله منذ أربعة عشر قرنا من الزمان فيجدها تنطق بالحرف الواحد بما وقع وما كان ولا يردها وينسبها لمحض الصدفة إلا مكابر أو حاقد على الإسلام وكتابه!

«لتركبن طبقا عن طبق» هذه الكلمات الثلاث والتى لم تعدم وجود تفسير معنوى لها أفاد الناس ويفيدهم من قبل وحتى الآن ها هى ذات مدلول مادى مباشر وعلمى ناطق ومذهل ومطابق تماما لما حققه العلم الحديث وأنجزه الإنسان الحديث أخيرا! فها هو الركوب قد تم بالفعل وكما ورد بالقسم الإلهى واللفظ القرآنى المحدد!

و«طبقا عن طبق» يصح أن تكون مركبة عن مركبة أى سفينة عن سفينة فالسفينة أو المركبة الفضائية يمكن أن يطلق عليها طبق! ويمكن أن تكون طبقة عن طبقة أى مرحلة عن مرحلة واحدة بعد الأخرى وأعلى من الأخرى! طبقة الخروج من جاذبية الأرض وطبقة الدخول فى جاذبية القمر وطبقة الخروج من جاذبية القمر ثم الدخول فى جاذبية كوكب آخر وهكذا!

فها هو جواب القسم قد تحقق ولا ننسى من المقسوم عليه قبلها قوله تعالى: «والقمر إذا اتسق» واتسق أى درس وعرفت معالمه جيدا

وقد تم ذلك فعلا بعد تقدم علم الفلك وسائر العلوم فى دراسة القمر جيدا وسائر الكواكب.

والمذهل والأكثر إعجازا من ذلك أن يقول الحق تبارك وتعالى بعدها مباشرة «فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون» ! ياسبحان الله! إن هذا يعنى ببساطة شديدة وإعجاز مذهل أن علام الغيوب فى علمه السرمدى المحيط من قبل ومن بعد يعلم أن الذين سوف ينجحون فى غزو الفضاء من غير المسلمين! ولذلك قال بعدها «فما لهم لا يؤمنون» ! ولو كان المسلمون المؤمنون هم الذين سبقوا إلى غزو الفضاء لكان ورود هذا الاستفهام الاستنكارى بعدها غريبا فسبحان علام الغيوب! وصدق الله العظيم ونحن على ذلك من الشاهدين.

(١٠) لموسعون

من كلمـات الإعـجاز فى كـتـاب الله الكريم كلمـة «لموسعون» فى قـوله تعالى فى سورة الذاريات الآية ٤٧:

«والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون»

وفى تفـسيـر قـوله تعالى «وإنـا لموسعـون» عند قدامى المفسرين ومن واقع تفـسير القرطبى: قال ابن عبـاس: لقـادرون. وقيل: أى وإنا لموســعون الرزق على خلقنـا. وقال الحسن: وإنا لمطيقون وعنه أيضـا: وإنا لموسعون الرزق بالمطر. وقال القتبى: ذو سعة على خلقنا. وقيل جعلنا بينهما وبين الأرض سعة.

ووقت نزول القرآن الكريم ووقت نزول هذه الآية الكريمة على قلب المصطفى عليـه أفضل الصلاة والسـلام كانت فكرة البـشرية بصـفة عامـة والعرب بصفـة خاصــة عن السماء أنهـا تلك القبـة الزرقاء من فـوقنا وأن الشـمس والقـمـر والنجـوم والكواكب كل أولئك مـجـرد مصابيح مضيئة تظهر وتختفى على سطح هذه القبة بأمر الله والمكان الذى تختفى فيه وقت اختفائها يعلمه الله وحده!

وبعد ما تقدم العلم وتقدمت البـشرية على طريق المعرفة فى مجال الفلك بالذات وعلى وجه التـحديد منذ نحو ثلاثة قرون فـقط وبعد ما عـرف الإنســان المنظار الـفلكى المكبـر المعـروف باسم «الـتلسكوب» واستـخدمه فى رصد الـكواكب والنجوم تبين للإنسان أن هذه القـبة

الزرقـاء إن هى إلا فراغ وظاهرة ضـوئيـة فى نفس جو الأرض. أمـا السماء فعالم ممتد مهول بغـير حدود! وعرف الإنسان حقيقة الأرض والشمس والقـمر وأن الأرض مستـديرة وتدور حول نفسـها وتدور حول الشمس. وعرف الإنسان الفضـاء الفسيح والغاز الكونى المنتشر فـيه وهو غـاز الأيدروجين عنصـر الكون الرئيـسى وعرف المجـرات والنجوم. وعرف أن مجرتنا وحدها التى تسمى بسكة أو طريق التبانة وفيهـا تقع مجموعتنا الشمـسية بها وحدها حـوالى مائة مليون نجم! وفى الكون غير مجرتنا نحو مائة مليون مجرة.

ولكى نتصـور على وجه التقـريب وبصورة مبـسطة نسبيـا مدى اتساع السما ء لك أن تعلم أننا لا نرى بالمناظيـر المتاحة أكثر من جزء واحد من مائة جزء من مجرتنا هذه!

وبدأت تفسيرات المستنيـرين من العلماء لكلمة السماء تواكب العلم الحديث واكتشافاته وكان من أولها وأسبقها تفسير الإمام محمد عبده للسمـاء بقوله: «السـماء اسم لما علاك وارتفـع فوق رأسك وأنت إنما تتصور عند سـماعك لفظ السماء هذا الكون الذى فوقك: فـيه الشمس والقمر وسائر الكواكب تجرى فى مجـاريها وتتحرك فى مداراتها هذا هو السمـاء وقد بناه الله أى رفعه وجـعل كل كوكب من الكواكب منه بمنزلة لبنة من بناء سقف فيـه أو جدران تحيط به وشد هذه الكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة كما تربط أجزاء البناء الواحد

بما يوضع بينها مما يتماسك.»

وفى تفسيره لقوله تعالى «وإنا لموسعون» جمع الشهيد سيد قطب بين القديم والحديث فقال: «والسعة كذلك ظاهرة فهذه النجوم ذات الأحجام الهائلة والتى تعد بالملايين لا تعدو أن تكون ذرات متناثرة فى هذا الفضاء الرحيب. ولعل فى الإشارة إلى السعة إيحاء آخر إلى مخازن الأرزاق..»

والذين يجادلون فى كتاب الله بغير علم من الملحدين وغير المسلمين وينسبون القرآن لبشر سوف يتوقفون فى تفسير كلمة «لموسعون» على أنها سعة فى الرزق فالسماء مصدر المطر وهذا أقصى ما يقصده من عاش فى الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان!

ونقول لهم: لا لأن كلمة «لموسعون» هنا مضافة لقوله تعالى «والسماء بنيناها» أى مضافة للبناء والقدامى معذورون فى تفسيرهم لها لقلة معلوماتهم عن السماء والكون فى عصرهم! وأعجب من هذا وأمعن فى الإعجاز أن كلمة «موسعون» من جانب الخالق جل وعلا تحمل معنى الاستمرار حتى الآن فى التوسعة فى البناء والخلق وهذا ما تقوله أحدث النظريات الفلكية حيث يقال أن خلق مادة الأيدروجين عنصر الكون الرئيسى فى تجدد مستمر أو خلق مستمر والمجرات التى تتكون منها تتباعد عن بعضها بسرعة رهيبة يزداد معها حجم

الكون أى يتمدد!!!

وحول تفسير الآية الكريمة والكلمة المعجزة يقول العالمان الجليلان الدكتور جمال الدين الفندى والدكتور محمد يوسف حسن فى كتابهما «قصة السموات والأرض»:

«إن مسأله اتساع الكون أو بمعنى أصح اتساع السـموات وآفاقها هى أهم وأعظم نتيجة تمخضت عنهـا نظرية النسبية المشهورة. وليس هذا بالخيال فـقد حقق أيضا بالمشاهدة والرصـد ولم يعد إلى الجدال فيه سبيل:- والسـماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون-لننظر إلى هذه الآية وروعـتهـا وروعـة مدلولـها بما حـوت من مـعان فلكـية وطبـيـعيـة ورياضية.. إنها ملخص علوم الفلك والطبيـعة والرياضة إنها الإعجاز بعينه»

هكذا يقـول أهل العلم بحق أمـاالذين فى قلوبهم مـرض فـلا عليك منهم !

(١١) بمواقع

من كلمات الإعجاز فى القرآن الكريم كلمة «بمواقع» فى قوله تعالى فى سورة الواقعة الآية ٧٥ «فلا أقسم بمواقع النجوم» ويقول الحق تبارك وتعالى بعدها مباشرة «وإنه لقسم لو تعلمون عظيم».

وفى شرع الله ليس لنا أن نقسم بغير الله ولله تعالى وحده أن يقسم بما يشاء من خلقه وهنا يقسم الحق تبارك وتعالى بمواقع النجوم! فهو وحده الذى خلقها ويعلم حقيقة مواقعها ويعلم سبحانه وتعالى أن المعاصرين لوقت نزول القرآن لا علم لهم بما فى مواقع النجوم من إعجاز لذلك يقول بعدها «وإنه لقسم لو تعلمون عظيم».

والخلق منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، ووقت نزول القرآن غاية علمهم عن مواقع النجوم أنها تلك المصابيح المضيئة فى القبة الزرقاء من فوقهم والتى هى السماء، وأنها أى النجوم جميعها فى مواقعها على مستوى افقى واحد! ولذلك اتجه المفسرون الأوائل فى تفسير مواقع النجوم وجهات أخرى بعيدة تماما عن مواقعها من حيث المكان!

قال ابن عباس: «المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوما أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكاتبين، فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام عشرين سنة فهو ينزله على الأحداث من

أمته.

وعن ابن مسعود: أن مواقع النجوم هو محكم القرآن.

وبعد تقدم علم الفلك وبعد أربعة عشر قرنا من الزمان على نزول القرآن وبعد ما وضع الإنسان يده على بعض الحقائق وتكشفت له بعض الأسرار عن عالم الأفلاك، وبعد ما عرف الكثير والمدهش عن عالم الكواكب والنجوم والمجرات وحقيقة السماء أدرك الإنسان مدى اتساع هذا الكون الشاسع ومدى ما تعنيه مواقع النجوم وما تدل عليه من عظمة الخالق وعظيم قدرته!

ولكى يستطيع القارىء العادى غير المتخصص تكوين فكرة مقربة عن مواقع النجوم لابد له من معرفة أمرين هامين على وجه التقريب الأول «أبعاد النجوم» والثانى «عدد النجوم».

وبالنسبة لأبعاد النجوم لابد أولا من أخذ فكرة مبسطة عن مشوار علماء الفلك على طريق قياس هذه الأبعاد ابتداء بوحدة القياس العادية أى بالميل أو الكيلو متر ثم الوحدة الفلكية وأخيرا الوحدة الضوئية أى بالسنة الضوئية.

وتفسير ذلك باختصار شديد أن علماء الفلك استطاعوا بوحدة القياس العادية أى بالميل معرفة أن المسافة بين الشمس وعطارد تساوى ٣٦ مليون ميل وبين الشمس والزهرة تساوى ٦٧ مليون ميل، وبين الشمس والأرض تساوى ٩٣ مليون ميل، وأن يورانوس

ونبتون وبلوتو أبعادها عن الشمس على التوالى هى ١٧٨٣-٢٧٩٣-٣٦٧٥ مليونا من الأميال.

هذا ولم نبتعد بعد عن مجموعتنا الشمسية! ومعنى ذلك أن قياسنا لأقرب نجم خارج مجموعتنا سوف يمثله عدد من الأرقام من الصعب كتـابته أو النطق به، فلجأ العلـماء إلى وحدة قيـاس أخرى استـعملوا فيها البعد بين الشمس والأرض كوحدة قياس سموها الوحدة الفلكية، وبهـا يكون البعـد بين الشـمس ونبتـون ثلاثون وحدة فـقط لأن ٣٠ مضروبة فى ٩٣ تساوى ٢٧٩٠.

والعجيب أنهم قطعوا خارج مجموعتنا الشمسية نحو ثلاثمائة ألف وحـدة فلكية قـبل أن يصلوا لأقـرب نجم لمجـموعـتنا، فظلت مـشكلة صـعوبة القـياس، كـما هى حـتى اهتدوا أخـيرا إلى وحـدة القيـاس المعروفـة بالسنة الضوئية! وملخـصها أن سـرعة الضوء فى الثـانية ثلاثمائة ألف كـيلو متر أى ٦ مليـون مليون ميـل فى العام وتلك هى وحدة القياس التى استقروا عليها فى النهاية!

وبهـا أى بوحدة القـياس بالسنة الضـوئية لك أن تعلم مـا يذهلك: أقرب النجـوم فى مجرتنا المعـروفة بسكة التبـانة يصلنا ضوؤها فى بضع سنين وكثـير منها يبـعد عنا بمســافات يقطعهـا الضوء فى ألف سنة ضوئـية أى بالميل: نضرب ألفـا فى ستـة مليون مليـون! وأقرب المجرات تبعد عن مـجرتنا بنحو سبعمائة ألف سنة ضـوئية عن كتاب

قـصة السـموات والأرض لصـاحبـيه الـدكتـور جمـال الدين الفندى والدكتور محمد يوسف حسن، وهناك من يرى أنها تبعد بمليونى سنة ضوئية!

وأما عن عدد النجوم فمعروف أن مـجرتنا وحدها بها حوالى مائة مليون نجم، وأن الكون به حوالى مائة مليون مجرة آخذه فى الابتعاد عن بعضها البعض!

فهل تصورت بعدها ما يمكن أن تعنيه مواقع النجوم؟ وهل أدركت الآن عظمة القسم بها وعظمة قول الحق تبارك وتعالى «وإنه لقسم لو تعلمون عظيم»!

وهل يمكن أن يتصـور عاقل بعدها ورود مـثل هذه الآية هكذا منذ أربعة عشر قرنا من الزمان مصـادفة أو على سبيل البلاغة فى الكلام أو من باب سحر البيان؟! ومن تأليف بشر؟!

سبحان الله! «إن هو إلا وحى يوحى»..

(١٢) شئ

من كلمات الإعجاز فى كتاب الله الكريم كلمة «شىء» فى قوله تعالى فى سورة الذاريات الآية ٤٩ «ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون»

وكلمة زوجين منذ نزول القرآن الكريم وعلى مدى أربعة عشر قرنًا من الزمان يفهم منها الزوجين الذكر والأنثى من الأحياء فى الإنسان والحيوان! وكلمة شىء وكل شىء فى اللغة إنما تشمل الجماد مع الإنسان والحيوان وكل شىء!

فكيف بالله عليك يفهم المتلقى يومها يوم نزول القرآن أى منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان معنى خلق الزوجين من الجماد؟! وكيف يقولها بشر يومها لو كان القرآن من قول بشر كما يتصور الملحدون من العلمانيين وسواهم من غير المسلمين؟!

ولأنها من معجزات القرآن التى تسبق زمانها جاءت بعض محاولات المفسرين الأوائل مردودة وغير مقنعة!

قال ابن زيد: «أى ذكرا وأنثى وحلوا وحامضا ونحو ذلك». وقال مجاهد: «يعنى الذكر والأنثى والسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والنور والظلام والسهل والجبل والجن والإنس والخير والشر والبكرة والعشى وكالأشياء المختلفة الألوان من الطعوم والأراييح والأصوات».

والزوجين والتزاوج أو الزوجية غير الضدين والتضاد! فالحلو والحامض والليل والنهار والنور والظلام والجن والإنس تدخل تحت الضدين والتضاد وليس الزوجين والزوجية. ولكن لأنها كما ذكرنا من معجزات القرآن العلمية والسابقة لعصرها ولأوان نزولها بأربعة عشر قرنا من الزمان لم تعرف حقيقتها وما بها من إعجاز إلا أخيرا وبعد ما تقدم العلم الحديث وتم اكتشاف الذرة وتركيبها كأصغر المخلوقات واكتشاف عالم الأفلاك المهول وما به من نجوم كأكبر المخلوقات!

ذلك لأن ما أثبته العلم الحديث وما أثبتته الاكتشافات الحديثة مؤخرًا هو أن كل شىء فى هذا الوجود من أصغر الأشياء إلى أكبرها يقوم على ظاهرة الزوجية والتزاوج وأن الله خلق من كل شىء زوجين فعلا!

فالذرة أصغر و حدة وأصغر شىء فى كل شىء والنموذج الذرى يتكون من نواة تحتوى على بروتونات ونيوترونات تربطها ببعضها قوى نووية ويسبح حولها الكترونات فى مدارات ثابتة والنواة موجبة الشحنة والإلكترونات سالبة الشحنة وفى تزاوج عجيب تتكون منهما الذرة متعادلة الشحنة. ودوران الإلكترونات حول النواة كنموذج دوران الكواكب حول الشمس تماما.

وأهم من ذلك أن النجوم أكبر الأشياء خلقها الله أيضا فى زوجين

فما أثبته العلم الحديث وكما ذكر العالمان الجليلان جمال الدين الفندى ومحمد يوسف حسن فى كتابهما «قصة السموات والأرض» بخصوص أصل الأرض أن الشمس خلق معها فى الأصل قرين لها يطلق عليه اسم النجم «فوق البراق» فهما من الأصل نجمان مع بعضهما أو زوج كما يطلق عليهما عادة وانفجر هذا النجم العملاق أو فوق البراق ومنه كانت الأرض وسائر الكواكب السيارة فالأرض إذن ليست بنت الشمس كما كنا نعتقد والدليل على ذلك كما يقول العالمان أن الأرض والكواكب لا يغلب فى تركيبها غاز الإيدروجين أو غاز الهليوم كما فى الشمس، وإنما يتكون الجزء الأكبر من الأرض وسائر الكواكب من مواد أخرى كالحديد والكالسيوم والسيليكون والمغنسيوم والألومنيوم. وكما يقول العالمان الكبيران: «فالأرض وأمثالها إذن حادثات فى الكون تدخل إليه نوعا فريدا من المادة التى تختلف كثيرا عن مادة الكون أو الشموس أو النجوم المنبثة فيه».

وهكذا خلقت كل شمس مشتركة فى زوج مع نجم آخر يدوران حول بعضهما فى تزاوج عجيب وصدق رب العرش العظيم «ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون».

وحول هذه الآية وهذه الكلمة المعجزة يقول شهيد الإسلام سيد قطب فى تفسير الظلال:

«وحين نتذكر أن هذا النص عرفه البشر منذ أربعة عشر قرنا وأن

فكرة عموم الزوجية حتى فى الأحيـاء لم تكن معروفة حينذاك فضلا على عمـوم الزوجيـة فى كل شـىء.. حين نتذكـر هذا نجدنا أمـام أمر عـجيب عظيم.. وهو يطلعنـا على الحقـائق الكونية فى هذه الصـورة العـجيبـة المبكرة كل التـبكير! كـمـا أن هذا النص يجـعلنا نرجح أن البحوث العلمية الحديثة سـائرة فى طريق الوصول إلى الحقيقة وهى تكاد تقـرر أن بناء الكون كـله يرجع إلى الذرة وأن الذرة مـؤلفـة من زوج من الكهربـاء: موجب وسالب فـقد تكون تلك البـحوث إذن على طريق الحقيقة فى ضوء هذا النص العجيب..»

وهذا ما نقصده فى الحقيقـة بقولنا إعجاز الكلمة فى القرآن! كلمة واحدة لا يتصور عاقل صدورها عن بـشر فى زمان قولها! فمن الذى يكتب ويؤلف من البـشر فى الجزيرة الـعربية منذ أربعـة عشـر قرنا ويخاطب أهلها أهل الفصاحة فيحدثهم عن خلق زوجين من كل شىء! وكلمة شىء فى عرفهم تعنى الجماد من بين ما تعنى من مخلوقات؟!

(١٣) عاد و ثمود

من كلمــات الإعــجاز فى كــتــاب الله الكريم كلمــة «عاد» وكلمــة «ثمود» فى كل مــا ورد من قصص فى القرآن الكريم عن قوم عاد وثمود ومن بعث إليهم من أنبياء الله المرسلين.

كمــا فى قوله تعــالى: «وإلى عاد أخــاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»

٦٥ الأعراف

وعنهم أى عن قوم عــاد قال تعالى: «واذكروا إذ جــعلكم خلفاء من بعد قوم نوح»

٦٩ الأعراف

وقوله تعالى: «وإلى ثمود أخاهم صالحــا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»

٧٣ الأعراف

وعنهم أى عن قوم ثمود قال تعالى: «واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد»

٧٤ الأعراف

× وقد يسأل ســائل: وما وجه الإعجاز فى ذلك؟ ما وجــه الإعجاز الكائن فى ورود كلمات «عاد» و«ثمــود» و«هود» و«صالح» فى كتاب الله الكريم؟! ويتــضـح لنا وجــه الإعــجاز هــنا جيــدا إذا وضــعنا فى

الاعتبار نصب أعيننا دائما أن غير المسلمين وغيرهم من الملحدين والعلمانيين لا يعترفون بأن القرآن كتاب إلهى ووحى من الله لنبيه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام! وأن القرآن فى نظرهم كتاب بشرى ومنتج ثقافى لبيئة وزمان ظهوره! وأن محمدًا بن عبدالله هو صاحب هذا الكتاب! وإلا لو اعتقدوا غير ذلك لوجب إسلامهم فى الحال!

ووجه الإعجاز فى كلمة «عاد» وكلمة «ثمود» إنما يكمن فى هذا السؤال المهم: لو أن محمد ابن عبدالله أو غيره من البشر هو الذى ألف القرآن الكريم من أين له معرفة كلمة عاد وثمود؟ ومن أين له العلم بأخبار عاد وثمود وأن قوم عاد خلفاء من بعد قوم نوح وأن قومَ ثمود خلفاء من بعدَ قوم عاد؟!

ذلك لأن ما يجب أن يعلمه القارىء جيدا هو أن عاد وثمود لم يرد لهم ذكر أو خبر فى كتاب من الكتب المقدسة سوى القرآن الكريم! وبالنسبة لغير عاد وثمود ورسل ربك هود وصالح أى بالنسبة لما ورد فى القرآن من قصص وأخبار غيرهم مثل آدم عليه السلام ونوح وإبراهيم واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان عليهم جميعا وعلى نبينا السلام سوف يرد المنكرون لكتاب الله هنا بقولهم أن من وضع القرآن من بشر على حد اعتقادهم إنما تعلم ذلك أو سمعه من أحبار اليهود ورهبان النصارى أو بالاطلاع على كتبهم!

وإن صح ذلك بالنسبة لهؤلاء فمن أين له معرفة أخبار عاد وثمود بالتفصيل ولم يرد لها ذكر فى التوراة أو الإنجيل؟!

× يقول المرحوم عبدالوهاب النجار فى كتابه «قصص الأنبياء»:

«واعلموا وفقنى الله وإياكم أن عادا لم تذكر فى كتاب من الكتب المقدسة سوى القرآن الكريم وليس بيد أحد من الناس من أخبارهم ما يوثق به ويصح التعويل عليه سوى القرآن وحده».

× ويقول المرحوم عباس محمود العقاد فى كتابه «أبو الأنبياء الخليل إبراهيم»:

«وإذا صرفنا النظر عن هذا كله ولم نقدر أن هناك أخبارا مسكوتا عنها وأخبارا ضائعة فالمسألة التى لا يصح الخلاف عليها عند المقابلة بين المصادر القديمة هى نقص المصادر اليهودية حتى فى أخبار البلاد المجاورة لمملكة إسرائيل فإن المصادر الإسلامية أوفى بأخبار هذه البلاد من مصادر اليهود ويكفى لتقرير ذلك أن كتب اليهود لم تذكر قط أخبار عاد وثمود وانفرد القرآن الكريم بذكرها مع ما جاء عنها فى المأثورات العربية. ولولا أن اسم عاد واسم ثمود قد وردا فى جغرافية بطليموس لكان من اليسير على الذين يحملون اسم الخرافة على أطراف ألسنتهم أن يزعموا أنها إحدى الخرافات. ولكن اسم عاد **Oadita** واسم ثمود **Thamudita** قد وردا فى جغرافية بطليموس وليس موقعهما كما وصفه الجغرافى الكبير بعيدا من

مملكة إسرائيل، فإذا كان بطليمـوس قد سمع بهما فلا يعقل أن يكون أمرهما مجهولا عند كتاب العهد القديم وإنما المعقول أن السكوت عن كل رسالة فى أبناء إسماعيل هو المقصود».

والعقاد يعنى بذلك كتمان يهود وتبديلهم وتحريفهم كالعادة بهدف حصـر النعمـة والنبوة فقـط فى أبناء اسحق ويعقـوب ثم أبناء داود ونفى كل رسالة فى ذرية إسماعيل وحتى فى جزيرة العرب كلها بعد إبراهيم وقبله من باب الاحـتياط ومن ثم السكوت التـام عن كل ما له صله بعاد وثمود ونفى كل خبر عن المرسلين لهم من أنبياء الله؟!

×× والسـؤال مرة ثانيـة لمن ينسبـون القرآن جـهلا لمـحمـد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسـلام: من علمه أخبار عاد وثمود بهذا التفصيل وأحـبار اليهود ورهبان النصارى على زمـانه يتكتمون ذلك وينكرونه؟!

وهل اطلع عليه أفضل الصـلاة والسلام على جغرافيـة بطليموس: وهل بها هذا التـفصيل الـقصصى كـما ورد فى القرآن عن عـاد وما اتخـذوا من مصـانع وعـبدوا من أصنام ومـا أرسل عليـهم من ريح صرصر فى أيام نحسات؟! وعن ثمود وما نحتوا من بيوت فى الجبال وما بنوا من قصور فى السهـول وعن ناقة الله وأخبارها وعن أخذهم بالصيحه؟!

× إن المـسلم يؤمن بأن ذلك أنزل على مـحمـد بن عـبدالله عليـه

أفضل الصلاة والسلام وحيا يوحى من الله فلا مشكلة لديه أى لدى المسلم! أما المشكلة بحق فهى مشكلة هؤلاء المنكرين البؤساء من أعداء الإسلام وأعداء كتاب الله إذ عليهم هم إثبات العكس إن كانوا علميين حقا خاصة وأنهم ينسبون للمؤمنين الاعتقاد فى الغيبيات والخرافات وينسبون لأنفسهم العلم والعقلانية والمنطق؟! عليهم طرح الوثائق والحجج والأسانيد العلمية التى تثبت وجود معلم لمحمد بن عبدالله أو مدرسة تلقى فيها علومه أو مراجع وكتب تاريخية اطلع عليها! أو أحبار أو رهبان ثبت اتصاله بهم وعرف منهم ذلك! وهيهات لهم أن يثبتوا شيئا من ذلك وهو الأمى الصادق الأمين كما عرفته الجزيرة العربية كلها قبل بعثته.

× وفى كتابه «المعجزة الكبرى القرآن» يقول المرحوم محمد أبو زهرة:

«ولم يكن بمكة مدرسة لاهوت بل لم يكن بمكة يهود ولا نصارى»..

ويقول أيضا: «لم يكن عندهم مدرسة يتعلمون فيها ولا علماء يتلقون عليهم وكانوا منزوين بشركهم عن أهل الكتاب والمعرفة فى أى باب من أبوابها وكانت رحلتا الصيف والشتاء إلى الشام واليمن تجاريتين لا تتصلان بالعلم فى أى باب من أبوابه ولا منزع من منازعه»..

ويقول أيضـا: «وكانت مكة بلـدا أميا ليس به عـلم ولا رياسات إلا مباريات رياسيـة فى البيان وكان محمـد صلى الله تعالى عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين:

«ومـا كنت تتلوا من قبله مـن كتـاب ولا تخطه بيمـينك إذا لارتاب المبطلون».

٤٨ العنكبوت

(١٤) ثم بعثنا

من كلمات الإعجاز فى كتاب الله الكريم «ثم بعثنا» فى قوله تعالى فى سورة الأعراف الآية ١٠٣:

«ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملإيه»

وفى قوله تعالى فى سورة يونس الآية ٧٤:

«ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم»

وفى قوله تعالى فى سورة يونس الآية ٧٥:

« ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملإيه»

× ووجه الإعجاز فى كلمة «بعثنا» هنا إنما يتمثل فى كونها مسبوقة بحرف العطف ثم وكما يقول علماء النحو «ثم» تفيد الترتيب مع التراخى! حتى أننا نستطيع أن نقول أننا هذه المرة أمام حالة من حالات إعجاز الحرف فى القرآن ونعنى بذلك حرف العطف «ثم».

ذلك لأنه فى الجانب الوارد من قصص بعض أنبياء الله المرسلين السابقين لموسى عليه السلام فى سورة الأعراف يقول الحق تبارك وتعالى:

فى الآية ٦٥: «وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم»..

وفى الآية ٧٣: «وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم»..

وفى الآية ٨٠: «ولوطا إذ قال لقومه»..

وفى الآية ٨٥: «وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم»..

ثم يقول الحق تبارك وتعـالى بعد ذلك فى نفس السورة وفى الآية ١٠٣: «ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا»..

وذلك يعنى أن بعثة موسى عليه السلام كانت بعد فترة من الزمان طويلة نسـبيـا بعد بعث هذه الـمجـموعـة من أنبيـاء الله الكرام هود وصالح ولوط وشعيب عليهم وعلى نبـينا السلام وأن هذه المجموعة من الأنبـياء الكرام كانـوا قريبى عهـد ببعـضهم البـعض. وفى نفس الوقت بينهم وبين نوح عليه السلام من قـبلهم فترة من الزمان طويلة نسبيا بالآية ٧٤ من سورة يونس.

×× والباحث فى تاريخ قوم عاد وثمود وقوم لوط ومدين يستطيع الوقـوف على بعض الحـقائق التـاريخـية المـهـمة دون الدخـول فى التفاصيل. من ذلك ومن واقع بعض آيات كـتاب الله الكريم واستعانة بما ذكره المرحوم عبدالوهاب النجار فى كتابه «قصص الأنبياء» نعلم أن:

× قوم عـاد خلفاء لقـوم نوح فقـد قال تعـالى فيـهم «واذكروا إذ جعلكم خـلفاء من بعد قـوم نوح» ولكن هودا نبى الله المـرسل لقوم عاد بعيـد عهد بنوح عليه الـسلام إذ بين هود ونوح سبعـة أشخاص على عمود النـسب أى سبعة أجيـال تقريبا فهود بن عـبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح.

× وقوم ثمود خـلفاء لقوم عاد فـقد قال تعالى فـيهم «واذكروا إذ

جعلكم خلفاء من بعد عاد» ولكن نبى الله صالحا قريب عهد بنبى الله هود فهو يخلفه بفترة زمنية قصـيرة تقدر بجيلين فقط أى شخصين على عمود النسب وفى نفس الوقت بعيد عـهد بنوح عليه السلام مثله فى ذلك مثل هود عليه السلام فبين صالح ونوح تسعة أشخاص على عمود النسب تقريبا فصالح بن عـبيد بن أسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عامر بن أرم بن سام بن نوح.

× ونفس الشىء يقال عن إبراهيم عليه السلام وعن زمانه بالنسبة لهود وصالح عليهما السلام فقد جاء بعدهما وإن كان قريب عهد جدا بهما فـبينه وبين نوح عليه السـلام مثل ما بين صالح ونوح عليـهما السلام تسـعة أشخـاص على عمود النسب فـهو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاذ بن سام بن نوح.

×× وإبراهيم عليـه السلام كـما هو مـعلوم عم لوط عليه الـسلام وهو أيضـا كمـا هو معلوم والد مـدين أو مـاديان بالعبـرية! فهـؤلاء الثلاثة معاصرون لبعـضـهم وبينهم قرابة ونسب فإبراهيم والد مدين وعم لـوط ومـــديـن تزوج من بنـات لوط فى أغـلب الروايات! لـذلك نستطيع القـول بأن لوطا عليه السلام قـريب عهد جدا بهـود وصالح عليهما السلام وأن شـعيبا نبى الله المرسل لمدين قريب عـهد نسبيا بهود وصالح وبلوط بطبيعة الحـال وقد قال تعالى على لسان شعيب

عليه السلام مخاطبا قومه: «وما قوم لوط منكم ببعيد»..

٨٩ هود

× أما موسى عليه السلام فـقد جاء بعد هؤلاء الأربعة الكرام هود وصالح ولوط وشعـيب بفترة زمنية طويلة! لذلك فـصله الحق تبارك وتعالى عنهم بحرف العطف «ثم» الذى يفيد الترتيب مع التراخى فقال تعـالى: «ثم بعـثنا من بعـدهم موسى» وذلك لأنـه من المعـروف أن موسى عليـه السلام هو ابن عمـران أو عمرام بالعبـرى بن قاهت بن لاوى بن يعـقوب بن اسـحق بن إبراهيم. أى بينه وبين إبراهيم عليـه السلام خمسة أجيال أو خمسة أشخاص على عمود النسب. و«لاوى» جد موسى عليه السلام هو شـقيق نبى الله يوسف عليه السلام وبين يوسف وإبراهيم عليـهما السـلام جيلان وبين يوسف ومـوسى عليه السـلام ثلاثة أجيـال على أقل تقـدير. وإبراهيم زار مصـر فى عهـد الهكسوس وكذلك فى عهدهم دخلها واستقر بها يوسف عليه السلام.. أما مـوسى عليه السلام كـما هو معلوم قـد ولد وعاش بها فى عـهد الفراعنة بعد جلاء الهكسوس! ولذلك لابد هنا من التنبيه إلى أن صهر موسى عليه السلام ليس نبى الله شعيبـا كما يعتقد البعض وإنما هو إما «يثرون» ابن اخى شـعيب أو شعيب آخر يطلق عليـه اسم «شعيب صاحـب موسى»! وفى قـوم أى نبى وبعده كـثيـرا ما يسـمى الناس أبناءهم على اسم نبيهم.

×× وهكذا إبراهيم عليه السلام قريب عهد بهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبين إبراهيم وموسى عليهما السلام زمن طويل فكذلك الفارق الزمنى طويل بين موسى عليه السلام والسابقين له من أنبياء الله الكرام هود وصالح ولوط وشعيب ولذلك قال الحق تبارك وتعالى فى ذلك فى سورة الأعراف الآية ١٠٣: «ثم بعثنا من بعدهم موسى».

× والإعجاز الوارد فى قوله «ثم بعثنا من بعدهم» فى سورة الأعراف يتأكد ويتكرر ويتضح بصورة مبهرة وأمعن فى الإعجاز فى سورة يونس فى الآيات ٧١، ٧٤، ٧٥ إذ يبدأ الحق تبارك وتعالى فى الآية ٧١ من سورة يونس الإخبار عن نبأ نوح عليه السلام بقوله تعالى: «واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه». ثم بعد الانتهاء من أخبار نوح عليه السلام فى الآيات ٧١، ٧٢، ٧٣ يقول الحق تبارك وتعالى فى بداية الآية ٧٤: «ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم»..

يالله! أنظر لما يعنيه حرف العطف «ثم» هنا وهو يفيد التراخى أى وجود فترة زمنية طويلة كما أثبتنا بين نوح عليه السلام ومن جاء من رسل بعده: سبعة أجيال على الأقل بينه وبين هود عليه السلام من بعده وتسعة أجيال بينه على الأقل وبين صالح وإبراهيم ولوط عليهم وعلى نبينا السلام. ثم أنظر لقوله تعالى هنا «رسلا»!

هكذا جمعهم الحق مع بعضهم البعض وهى تعنى كما سبق

وذكرنا مجموعة رسله الكرام هودا وصالحا ولوطا وشعيبا وغيرهم متزامنين تقريبا أى قريبى العهد ببعضهم البعض كما سبق وأوضحنا. ثم يقول الحق تبارك وتعالى بعدها مباشرة فى بداية الآية ٧٥ من نفس سورة يونس:

«ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملإيه».

وكلمة «بعدهم» هنا فى الآية ٧٥ تحل محل «رسلا» فى الآية السابقة لها. ويفصل الحق تبارك وتعالى بين موسى عليه السلام وبينهم بحرف العطف «ثم» مرة ثانية كما سبق وذكر الحق تبارك وتعالى ذلك فى سورة الأعراف الآية ١٠٣.

×× خلاصة القول أن القرآن الكريم المعجزة الكبرى والخالدة يخبرنا فى هذه الجزئية بأن نبى الله نوحا عليه السلام بينه وبين مجموعة من الرسل منهم هود وصالح ولوط وشعيب فترة زمنية طويلة تستحق أن يعبر عنها بحرف العطف «ثم» وبين نفس المجموعة من رسل الله الكرام وبين موسى عليه السلام من بعدهم فترة أخرى تستحق أن يعبر عنها بنفس الحرف «ثم» وما وصلنا إليه من حقائق تاريخية حتى الآن يوافق ذلك! ولن يستطيع علماء الآثار والتاريخ إثبات غير ذلك؟!

× والذين ينكرون كتاب الله لن يسلموا بأن محمدًا بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ومصيبتهم أنهم لم

يقرأوا القرآن ولم يدرسوه ولا يعرفـون من بديهيات اللغة الفرق بين حروف العطف ثم والفاء والواو؟!

× والباحث المتأمل بضمـير علمى محايد فى وضع حرف العطف «ثم» فى الآيات السابق ذكرها من سـورتى الأعراف ويونس يستطيع أن يجـزم بل ويقسم بأن قـائل هذا الكلام وواضع هذا الحـرف «ثم» قـبل كلمة «بعـثنا» هو الحق تبـارك وتعـالى خالـق الرسل وباعثـهم والعليم الخبيـر بزمان ومكان بعثة كل منهم والفـترة الزمنية بين كل منهم والآخر على وجه اليقين.

× وعلى المنكرين أن يثبتوا لنا هم من أين لمحـمد بن عبدالله عليه أفـضل الصلاة والسـلام أن يعلم بالتـفصـيل قـصص هؤلاء الرسل الكرام وتوقـيت بعثـة كل منهم بالنسبـة لغيـره واستـخدامـه لحرف العطف «ثم» فى محله وأن يجىء ذلك موافقا لصحـيح ما يثبته علماء التاريخ والآثار ومـوافقـا لبعضـه البعض دون تعـارض مع ملاحظة ورود أخبـار هؤلاء الرسل الكرام مـوزعه على أكـثر من سـورة مثل الأعراف ويونس كما رأينا وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول فى محكم آياته:

«أفـلا يتدبـرون القرآن ولو كـان من عند غـيـر الله لوجـدوا فيـه اختلافا كثيرا»..

٨٢ النساء

وصدق الله العظيم قال تعالى فى كتابه الكريم:

«تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا»..

٤٩ هود

× وتأمل جيدا قوله تعالى: «ما كنت تعلمها أنت ولا قومك» ثم أسأل الذين يتحدثون باسم العلم وهم أجهل من دابة! ويدعون العقلانية هل كان فى مكة وبين قريش على عهد بعثة المصطفى علماء فى التاريخ أو الآثار أو مدارس أو مراجع أو وثائق أو كتب أو تعليم من أى نوع؟! وبعدها يخرج علينا من الأفاقين والملحدين من يقول: إن القرآن «منتج ثقافى»؟!

(١٥) جئنا بكم و لفيفا

من كلمات الإعجاز فى كتاب الله الكريم كلمة «جئنا بكم» وكلمة «لفيفا» فى قوله تعالى فى سورة الإسراء الآية ١٠٤:

«وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا»..

وفى الجامع لأحكام القرآن يرى الإمام القرطبى أن الأرض فى الآية تعنى أرض الشام ومصر ووعد الآخرة أى القيامة. و«جئنا بكم لفيفا» أى من قبوركم مختلطين من كل موضع.

ويوافقه على ذلك شهيد الإسلام سيد قطب فى تفسيره لقوله تعالى «فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا» حيث يقول فى ظلال القرآن «أما هنا فهو يكلهم هم وأعداءهم إلى جزاء الآخرة».

وفى تفسير قوله تعالى «جئنا بكم لفيفا» قال ابن عباس وقتادة: جئنا بكم جميعا من جهات شتى. وقال الجوهرى: «واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى. يقال: جاء القوم بلفهم ولفيفهم أى وأخلاطهم وقوله تعالى «جئنا بكم لفيفا» أى مجتمعين مختلطين. وطعام لفيف إذا كان مخلوطا من جنسين فصاعدا.

وقال الكلبى: «فإذا جاء وعد الآخرة» يعنى مجىء عيسى عليه السلام من السماء.

× والحقيقة أن «الآخرة» فى الآية الكريمة لا تعنى القيامة فقط

وإنما قد تعنى القـيامة وقد تعنى آخرتهم فـى الدنيا وذلك هو الغالب فى حـالتنا هذه ودليل ذلك أولا: عـدم إجمـاع المـفسـرين على أنهـا القيامة فـها هو الكلبى يرى أنها تعنى مجىء عيـسى عليه السلام من السمـاء. وثانيا: وهذا هو الأهم أن نفس قـوله تعالى «فإذا جـاء وعد الآخرة» وذلك بالنسبة لبنى إسرائيل قد ورد فى نفس سورة الإسراء فى الآية السابعة ولا يعنى القيامة وإنما يعنى آخرتهم فى الدنيا حيث قال تعالى فى مـحكم آياته: «فإذا جاء وعد الآخرة ليـسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة»

× وكذلك قوله «الأرض» فى الآية الكريمـة لا يعنى بالضرورة كما يرى القـرطبى أرض الشام ومـصر فـقط! إن ورودها هكذا «الأرض» على إطلاقها بغير تحديد! إنما قـد يعنى الشام ومصر وقد يعنى أكثر من الشام ومصر كما قد يعنى الأرض كلها أى كل بلاد العالم!

×× وحقيـقة الأمر أن هذه الآية من آيات الإخبـار عن غيب لم يقع زمان نزولها أى تقع تحت طائلة «خـبر ما بعدكم» والإعجاز فـيها لم يتضح وما كان ليظهر ويتضح بجـلاء إلا للمعاصرين للقرن العشرين الميلادى أى بعد أربعة عشر قرنا من الزمان بعد نزول القرآن!

وذلك لأنه من المعـلوم تاريخيا أنه منذ عـشرين قـرنا من الزمان وبعـد أيام المسـيح عليـه السلام بقليل دخـلت الجيـوش الرومانيـة «أورشليم» وخربت كل المدن اليهودية وقتلت غالبية الشعب اليهودى

وأخذت الأحياء الباقين سبايا عاشـوا عبيدا أذلاء موزعين بين مختلف شعوب العالم من يومها وحتى بدايات القرن العشرين!

واشتـهر عنهـم فى عصورهـم الأخيرة وإلـى عهد قـريب وطوال عصـور الشتات عـيشهـم فى كل بلد من بلاد العالم تقـريبا وفى كل مدينة من كل بلد فى حارة خاصة بهم تسـمى «حارة اليهود» وهو ما اشتهر وعرف باسم «مجتمع الجيتو»!

وفى ذلك تصـديق لقـول الحق تبـارك وتعـالى «اسكنوا الأرض»! فسكنوا جميع الأرض فعلا وكان لهم حى أو حارة خاصة بهم فى كل بلد تقريبا!

وفيه تصديق لقوله تعالى فى سورة الأعراف الآية ١٦٨

«وقطعناهم فى الأرض أمما»

وفـيه تصـديق أيضـا لما ورد فى الـعهـد القديـم سفـر اللاويين «الإصحاح ٢٦ الآية ٣٣

«وأذريكم بين الأمم»

وفيه تصـديق لما ورد فى العهد القـديم سفر «التثنيـه» الإصحاح ٢٨ الآية ٦٤

«ويبـددك الرب فـى جـمـيع الشـعـوب مـن أقـصـاء الأرض إلى أقصائها»

× ولما حق عـليهم قوله تعـالى «فإذا جـاء وعد الآخرة جـئنا بكم

لفيفا» أنظر ماذا حدث:

- فى الفــتــرة من ١٨٨٢- ١٩٠٣ جــاء إلى فلسطـين ٢٥ ألف «خمســة وعشرون ألف» يهودى من أوربا بمعونة ومـساندة البارون ادموند روتشيلد وهيئة استعمار فلسطين اليهودية.

- وفى الفـتـرة من ١٩٠٤ -١٩١٤م جـاء إلى فلـسطين ٤٠ ألف «أربعون» ألف مهاجر من روسيا القيـصرية بمعونة ومساندة الحركة الصهيونية العالمية التى أسسها «تيودور هرتزل».

- وفى الفترة من ١٩١٩- ١٩٢٣م جاء إلى فـلسطين ٣٥ «خمسة وثلاثون ألف» يهودى أغلبهم من أوربا الشرقية.

- وفى عام ١٩٢٤م جاء إلى فلسطين عدد كبير من البولنديين.

-وفى عـام ١٩٣٣م جاء إلى فـلسطين ٢٠٤ مائـتان وأربعـة ألف مـهـاجـر يـهـودى أغلبـهم من رجـال ونسـاء ألمـانيـا والـنمـسـا وتشيكوسلوفاكيا وبعض يهود إيطاليا.

وهذا كله على سبيل المـثال وليس على سبيل الحصـر. والبيانات هنا عن كتاب -إسـرائيل والفكرة الصهيونيـة- وهو الكتاب السادس عشر من مـجموعة كتب سيـاسية -مجموعـة مصرية- وهو ملخص لكتب ثلاثة ألفها روفائل باتاى وجوزيف هيلر وجاك مادولى.

هذا مـا حدث منذ ١٨٨٢م ومـا بعـدها ومـازال يحدث حـتى الآن وعلى مدى قرن من الزمان وزيادة وعاصرته ولمسته ورأته البشرية

رأى العين وجاء مصدقا لما قال الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان.

× ففى قـوله «جئنا بكم لفيـفا» قال كمـا سبق وذكرنا ابن عـباس وقتادة: جئنا بكم جميعا من جـهات شتى! وهاهم جاءوا ويجيئون من أقصى الغرب من أوربا وأمريكا ومن أقـصى الشرق من روسيا وكل دول الكتلة الشرقية.

وما أعظم الإعجاز وما أروع الإبداع الوارد فى كلمـة «لفيفا»! فهى تعنى كمـا قال أهل اللغة «خليطا» أى مـختلطين وكما قـال الجوهرى: «لفيف إذا كـان مخلوطا من جنسين فصـاعدا! وهاهم من كل أجناس العالم مـختلطين من ألمانـيا وبولندا ومن النمسـا وتشيكوسلوفاكـيا ومن إيطاليا والمغرب والعراق واليمن وكل أجناس الدنيا!

×× والقرآن الكريم كما قال فيه بـحق الصادق المصدوق «فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعـدكم» وهنا لابد من التنبيه إلى أن القرآن وحده هو الذى تحدث عن مـجىء لليهود وعن عُلوّ لهم وإفسـاد مرتين وعن مجيئهم لفيفـا فى الآخرة أى فى آخر الشوط من تاريخهم. إن «العهد القديم» ذكر فقط ما ذكـره القرآن الكريم عن تقطيعهم فى الأرض أى تبـديدهم وتذريتهم بين الشـعوب وكـذلك العهـد الجديد! ولذلـك قال الأستاذ زكـى شنوده المحامى فى كتـابه «اليهود» وفى خاتمـة الباب الأول وهو عن «نشأة اليهود»:

«وبذلك اندثرت الأمـة اليهـودية فلم تقم لها قـائمة بعـد ذلك، ولن تقوم إلى آخر الزمان مصداقا لقول السيد المسيح أنه – يكون سخط على هذا الشعب ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم..»

× وأما القرآن فهو وحـده من بين الكتب السماوية الذى تحدث عن علو اليهـود وإفسـادهم مرتين وعن مـجيئـهم فى الآخرة على هيـئة معينة بذاتها «لفيفا»!

×× فمن أين باللّه عليك لبشر عـاش فى الجزيرة العربية فى القرن السادس المـيلادى اطلع على كتب العـهد القديم والعهـد الجديد أو لم يطلع عليهـا! كان دارسا أو كـان أميا لا يقـرأ ولا يكتب! من أين له أن يتحدث بثقة عن مجىء اليهود فى الآخرة وعن مجيئهم «لفيفا»؟!

× إن فى القرآن نبـأ من قبلنا وخـبر ما بعـدنا والذين فى قلوبهم مـرض وطبع الله على أفئـدتهم وعـقولهم من الـملحدين والكافـرين وأعداء الدين سوف يجادلون للمجادلة!

وفيما ورد بالقرآن من نبأ من مضـوا كأخبار عاد وثمود وقصص المرسلين قـبل محمد عليه أفـضل الصلاة والسلام ربما قـالوا جهلا ومكابرة: بل درس محـمد واطلع وأخذ عن غـيره من أحبـار ورهبان وغيرهم!!

وإذا سألتهم عن إخباره عن غيب قبل وقوعه: بالنسبة لما وقع فى

زمان صاحب الرسالة مثل إخباره عن انتصار الروم على الفرس وانتصار المسلمين فى غزوة بدر ربما قالوا جهلا ومكابرة فراسة وذكاء وحسن تقدير وفهم من رجل عظيم عاش الأحداث وعاصرها وفهمها جيدا!!

× فماذا يقولون عن إخباره عما جاء وحدث بعد زمانه بأربعة عشر قرنا من الزمان؟ إن كلمة «جئنا بكم» وكلمة «لفيفا» فى الآية الكريمة ١٠٤ من سورة الإسراء من كلمات الإعجاز فى القرآن الكريم والتى لا يمكن أن يتصور باحث أمين عقلا ومنطقا صدورها عن بشر فى زمان نزولها! وصدق الله العظيم حيث يقول فى محكم آياته:

«وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم»

٦ النمل

(١٦) وليدخلوا

من كلمـات الإعـجاز فى كـتـاب الله الكريم كلمـة «وليـدخلوا» فى قوله تعـالى فى سورة الإسـراء الآية السابعة:

«فإذا جاء وعد الآخرة ليـسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا»

ولكى ندرك جـيدا مـدى الإعجـاز فى قوله تعـالى «وليـدخلوا» فى الآية السابعـة من سورة الإسـراء لابد أولا من تأمل الآيات الثلاث السابقـة لهذه الآية وهى الرابعة والخامسـة والسادسة من سورة الإسراء وفيها يقول الحق تبارك وتعالى:

«وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتـاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبـيرا. فإذا جاء وعد أولاهما بعـثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فـجاسوا خلال الديار وكـان وعدا مفـعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا.»

× وبالرجوع إلى أقوال المـفسرين وآرائهم حول المقـصود بقوله «عبادا لنا أولى بأس شديد» فى وعد أولاهما، وعلى من يعود الضمير فى قوله «ليسـؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد» فى وعـد الآخرة نجد اختلافا كبيرا فى الرأي!

ففـى عباد الـله أولى البأس الشـديد يرى بعضـهم أنهم أهل بابل بقيادة «بختنصر».

وقال قتادة: «جـالوت» وقومه. وقال سعيد بن جـبير «سنحاريب»

من أهل نينوى بالموصل.

وقال بعضهم فى قوله تعالى «ثم رددنا لكم الكرة عليهم» ذلك بقتل داود جالوت.

وفى تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن ورد فى هذا الباب حديث مرفوع من حديث حذيفة خلاصته أن «بختنصر» وقومه المقصود بقوله عبادا لنا أولى بأس شديد وذلك فى وعد أولاهما، أما المقصود بقوله «ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد» فى وعد الآخرة فهو ملك الروم قيصر!

×× والحقيقة أن الخلاف هنا سببه أن هذه الآيات البينات المعجزات من آيات الإخبار عن غيب أى تقع بحديث الصادق المصدوق تحت طائلة «خبر ما بعدكم» وأن وقت نزولها سابق لأوان حدوثها! وأن تفسيرها مع بعضها واكتشاف ما بها من إعجاز وخاصة فى قوله تعالى «وليدخلوا المسجد» ما كان ليظهر ويتضح جليا إلا فى عصرنا الحالى وبعد أربعة عشر قرنا من الزمان على نزول القرآن!

× وبادىء ذى بدء لابد لكى نضع أيدينا على مواطن الإعجاز والعظمة فى هذه الآيات البينات أن ننبه ونركز على «ملحوظة هامة» وهى أن سياق الآيات البينات الخامسة والسادسة والسابعة من سورة الإسراء يوحى ويشير إلى أن هذه الآيات الكريمة تتحدث عن

«خصم واحد» لبنى إسرائيل أى نفس الخصم!

ففى الآية الخامسة يقول الحق تبارك وتعالى لبنى إسرائيل «بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد» ثم يقول بعدها مباشرة فى الآية السادسة «ثم رددنا لكم الكرة عليهم» وتأمل جيدا قوله تعالى «عليهم»! أى نفس عباد الله أولى البأس الشديد الوارد الحديث عنهم فى الآية الخامسة!

× وإذا كان بختنصر أو غيره من أهل بابل مثل سنحاريب هم عباد الله أولى البأس الشديد المقصودين بذلك نسأل متى كانت لبنى «إسرائيل» كرة عليهم!!

ومعروف أن الذى أنقذهم من الأسر البابلى هو «قورش» ملك الفرس! هذا وفى قوله تعالى «فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد» نرى والله أعلم أن الضمير فى قوله «ليسؤوا» وفى قوله «وليدخلوا» راجع على نفس العباد الوارد ذكرهم والحديث عنهم فى الآيتين السابقتين الخامسة والسادسة.

وإذا قال البعض إن عباد الله أولى البأس الشديد هم «جالوت» وقومه وأن كرَّة بنى إسرائيل عليهم جاءت على يد داود بقتله جالوت! نقول إن الحق تبارك وتعالى يقول «ثم رددنا لكم الكرة عليهم» ولا يعبر عن الفترة بين جالوت وداود بحرف العطف «ثم» الذى يفيد التراخى فقد كانا من المعاصرين لبعضهم البعض! كما أن الموعودين

بقوله فى وعـد الآخرة «ليسؤوا وجوهكـم وليدخلوا المسجـد» ليسوا من ذرية جالوت فقط ولا من دينه!!

×× وبناء عليه نـستطيع القول بأن عـباد الله أولى البـأس الشديد فى الآية الخـامسة من سـورة الإسراء هم صـحابة رسول اللـه عليه أفضل الصلاة والسلام وأن خصم بنـى إسرائيل فى الآيات الخامسة والسـادسـة والسـابعـة من السـورة هم «المـسلمـون» وبيـان ذلك باختصار شديد كالآتى:

أولا: لك أن تتـأمل فى ذلك جيـدا قولـه تعالى فى الآية الخـامسـة مباشرة بعد قضائه الذى قضاه إليهم فى الآية الرابعة:

«فـإذا جاء وعـد أولاهما بعـثنا عليكم عـبادا لنا أولى بأس شـديد فجاسوا خلال الديار».

وعليك بعـدها أن تطابق ذلك بفـعل صحـابة رسـول الله مع ديار اليهود فى غزوات بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة! مع ملاحظة حرف الفاء فى قوله «فإذا جاء» وفى قـوله «فجاسوا» والعطف بالفاء كما هو معلوم يفيد الترتـيب فى «الحال» وقد حدث هذا فعلا والقرآن ينزل!

ثانيا: لك أن تتـأمل فى ذلك جيـدا قوله تعـالى فى الآية السـادسة «ثم» رددنا لكم الكرة عليهم» وحرف العطف ثم كـما هو معلوم عكس الفاء يفـيد الترتيب مـع «التراخى» وقد حـدث ذلك فعلا بعـد «أربعة»

عشر قرنا من الزمان فى حربى ٦٧,٤٨.

ثالثا: تأمل قـوله تعـالى لبنـى إسـرائيل فى نفس الآية السـادسـة «وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفـيرا» كلمات معجزات كل حرف فيها ينطق بما كان وبما حدث أمام أعيننا فكان المدد بالمال من ألمانيـا وأمريكا وكل بلاد العالم والمـدد بالبنين من ألمانيا وروسـيا وأوربا الشرقية وكل بلاد العالم. وجعلهم الله أكثر منا نفيرا أى أعلى صوتا وأكثر دعاية وإعلاما وهذا ما كان وما هو كائن حتى الآن!

رابعا: ولك أن تتأمل جيدا كلمة «الـمسجد» الواردة فى قوله تعالى فى الآية السـابعـة «وليدخلوا المـسـجد»! والـمسـجد لـغة «مـصلى الجماعـة» ويطلق عادة على أماكن عبادة المـسلمين فى الغالب الأعم. قال تعـالى فى سورة الحج الآية ٤٠ «ولولا دفع الله الناس بعـضـهم ببعض لهدمت صـوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فـيها اسم الله كثيرا.»

وفى تفسـير ذلك من واقع الجـامع لأحكام القرآن للقـرطبى يقال البيع جمع بيعة وهى كنيسة النصارى وقال الطبرى: قيل هى كنائس اليـهـود. وصلوات قال الزجـاج والحـسن: هى كنائس اليـهـود وهى بالعبـرانية «صلوتا». وذهب «خصـيف» إلى أن القصد بهذه الأسـماء تقـسـيم مـتعـبـدات الأمم: فـالصـوامع للرهبـان والبـيع للنصـارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين..

× وسورة الإسراء نفسها سميت كذلك نسبة إلى الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. قال تعالى:

«سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» والمسجد المقصود فى قوله تعالى فى الآية السابعة «وليدخلوا المسجد» هو المسجد الأقصى. وقد قال تعالى بعد ذلك مباشرة «كما دخلوه أول مرة» ومعروف أن المسلمين دخلوه أول مرة على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

× وكلام ربك كله إعجاز! كل كلمة فيه بل كل حرف فيه إعجاز فى إعجاز ولكن لماذا نخص هنا كلمة بعينها بالإعجاز وهى كلمة «وليدخلوا»؟ وما هو وجه الإعجاز فيها؟

×× ووجه الإعجاز فيها أنها كلمة لا يقولها بشر وإنما يقولها عالم الغيب وحده لأن قوله «وليدخلوا المسجد» يعنى بالعقل والبديهة أن يكون المسجد تحت يد بنى إسرائيل وفى قبضة اليهود وقد حدث هذا بعد هزيمة ٦٧.

وقبل ذلك وبعد تقسيم ٤٨ كان طبيعيا أن يرفض العرب والمسلمون ذلك وأن يحاربوا وبعد هزيمة ٦٧ وجد بين المهزومين من أبناء هذه الأمة البائسة وخاصة فى زمن التطبيع من يردد القول بأن العرب دائما أصحاب الفرص الضائعة! وأنهم لو قبلوا تقسيم ٤٨

فى حينه مـا ضاع المســجد الأقصى؟! ولكن مكتـوب فى علم الله من قبل أن اليهـود سوف يضعون أيديهم على القدس والمســجد شئنا أم لم نشأ! وإذا جـاء وعد الآخرة يدخل المـسلمون المســجد بإذن الله! ربمـا اليوم أو غـدا وربما على يـد أجيـال واعدة هى اليـوم أجنة فى بطون أمهـاتها! ولكنه سيـكون شاءت إسرائيل أو لم تشــأ! والسؤال الآن: من أين لبشر عاش فى الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان أن يعلم ذلك وأن يكتب ذلك؟!

أن يكتب بالذات كلمة «وليـدخلوا المسجـد» وهى تعنى بالضرورة علمه مسبقا بأن بنى إسرائيل سيضعون أيديهم على المسجد!!

سبحان الله! «وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى».

(١٧)
المشارق

من كلمات الإعجاز في القرآن الكريم كلمة «المشارق» في قوله تعالى في سورة الصافات الآية الخامسة:

«ربُ السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق»

× إن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم لا حصر لها:

منها البلاغى والبيانى ومنها القصصى ومنها العلمى ومنها التشريعى ومنها العقيدى! والبحث هنا فى إعجاز الكلمة فى القرآن إنما يقتصر على نماذج من كلمات على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر طبعا، الكلمة منها إذا تأملها الباحث بأمانة علمية وبعقل ومنطق وأمعن النظر فيها جيدا يخرج منها بنتيجة حتمية ومؤكدة لا تحتمل النقاش أو الجدل تقول لكل ذى عقل إن هذه الكلمة لا يقولها بشر بأى حال من الأحوال ولا يمكن تصور صدورها عن بشر وبالذات فى الوقت الذى نزلت وقيلت فيه! من ذلك مثلا كلمة «المشارق» فى قوله تعالى «ورب المشارق» فى الآية الخامسة من سورة الصافات. إن تعبير «ورب المشارق» تعبير معجز وجميل وما أكثر هذا النوع من التعبيرات فى كتاب الله الكريم ولكى يتضح للمرء المقصود من إعجاز الكلمة فى القرآن فى كلمة «المشارق» بالذات لك أن تتأمل قوله تعالى على سبيل المثال «والصبح إذا تنفس» فهذا تعبير معجز يدخل

فى باب الإعجاز البلاغى والبيانى فى القرآن يقول عنه شهيد الإسلام سيد قطب فى ظلاله: «وأكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مأثوراتها التعبيرية لا تحتوى نظيرا لهذا التعبير عن الصبح»

نعم! إعجاز وأى إعجاز! ولكن هذا النوع من الإعجاز البلاغى والبيانى الفريد فى نوعه يسلم به على الفور أصحاب الفطرة السوية والسليمة! أما أصحاب الفطرة المريضة من الملحدين من شيوعيين وعلمانيين وغيرهم من أعداء الإسلام والمسلمين فسوف يردون هنا بقولهم: «وما المانع من أن يكون صاحب الرسالة أديبا فذا قد أوتى موهبة النظم والكتابة والتأليف على هذا المستوى الرفيع! ومع هذا النوع المكابر من المجادلين لا ينفع معهم إلا التركيز على كلمات فى كتاب الله معجزات من نوع خاص علمى أو إخبارى من رابع المستحيلات إمكان صدورها عن بشر وقت قولها ومنها كلمة «المشارق» فى الآية الكريمة.

× كان الناسُ على عهد نزول القرآن الكريم يعلمون ويلمسون ويشهدون من أحوال الكون من حولهم مشرقا واحدا تشرق منه الشمس كل يوم ومغربا واحدا تغرب فيه الشمس وبعد أربعة عشر قرنا من الزمان تبين لنا الكثير عن حقيقة الكون من حولنا: فعرفنا أن الأرض مجرد كوكب ضمن كواكب مجموعتنا الشمسية وأن مجموعتنا الشمسية واحدة ضمن آلاف أخرى مثلها تشكل مع بعضها

مجـرتنا المعروفة بسكة أو بطريـق التبانة ومثل مـجرتنا هناك آلاف المجـرات! وكل كوكب فى الوجـود له مشـرق ومغـرب كما لكوكـبنا الأرض تماما!

×× ليس هذا فـقط! وإنمـا تبين لنا أيضـا كـما هو مـعلوم دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس فكان كل موقع على سطح الأرض له مشرق وحـده يختلف فى توقيتـه عن الموقع الآخر فسـبحان رب المشارق رب السمـوات والأرض رب العرش العظيم! وفى ذلك يقول شهيد الإسلام سيد قطب فى ظلاله:

«ولكل نجم مشرق ولكل كوكب مشرق فهى مشارق كثيرة فى كل جانب من جوانب السموات الفسيحة.. وللتعبير دلالة أخرى دقيقة فى التعبـير عن الواقع فى هذه الأرض التى نعيش عليهـا كذلك. فالأرض فى دورتها أمام الشمس تتوالى المشارق على بقـاعها المختلفة -كما تتوالى المغارب- فكلما جاء قطاع منها أمام الشمس كان هناك مشرق على هذا القطاع وكـان هناك مغـرب على القطاع المقـابل له فى الكرة الأرضية. حتى إذا تحركت الأرض كـان هناك مشرق آخر على القطاع التالى ومـغرب على القطـاع المقابل له وهكـذا وهى حقيـقة مـا كان يعرفهـا الناس فى زمان نزول القرآن، ولكن خبـرهم بها الله فى ذلك الزمان القديم.»

× ومن الملحدين وبين أعداء الدين مجـادلون ومكابرون بطبيعتهم

سوف يقول البعض منهم: ولم لا تكون كلمة «مشارق» هنا قد قالها واضع القرآن منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وهو يقصد جمع كلمة مشرق! بمعنى أن توالى وتكرار ظهور مشرق وراء مشرق صبيحة كل يوم يجعلنا نجمعها على مشارق كما يجمع يوم على أيام وليلة على ليالى! وجاءت كلمة مشارق موافقة لما أثبتته الكشوف العلمية الحديثة من باب المصادفة البحتة!!

×× والرد هنا لا وألف لا والسبب بسيط وواضح وبديهى جدا وهو أن القرآن من لدن واحد وصاحبه واحد وآياته وكلماته البينات المعجزات تؤخذ مع بعضها البعض! وكما قال تعالى فى الآية الخامسة من سورة الصافات «ورب المشارق».

× قال تعالى فى سورة يس الآية ٨١:

«أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم»

× وقال تعالى فى سورة الطلاق الآية ١٢:

«الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن».

× وقال تعالى فى سورة يسن الآية ٣٧:

«وآية لهم الليل نسلخ منه النهار».

× وقال تعالى فى سورة الحديد الآية السادسة:

«يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل».

× وقال تعالى فى سورة الزمر الآية الخامسة:

«يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل».

× فكيف يحدثنا عن خلق سبع سموات ومثلهن ولا يعنى بالمشارق مشرقا خاصا لكل كوكب من آلاف الكواكب فى كل سماء منها؟!

× وكيف يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ويولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويسلخ من الليل النهار دون أن يعنى بذلك كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس ويترتب على ذلك بالضرورة مشرق خاص لكل موضع من مواضع الأرض فى حركة دورانها؟ وهل للتكوير والإيلاج والسلخ معنى غير ذلك؟!

× وهل بعدها يمكن لعاقل بعد تأمل الآيات مجتمعة أن يتصور ورود كلمة «مشارق» مطابقة لما وصل إليه العلم الحديث اليوم من باب الصدفة البحتة؟

×× وهل جاءت أيضا كلمات «يكور» و«يولج» و«نسلخ» و«سبع» سموات ومثلهن من باب الصدفة البحتة؟!

×× كلا والله! إن كلمة مشارق فى قوله تعالى «ورب المشارق» فى الآية الخامسة من سورة الصافات من كلمات الإعجاز فى القرآن ولا تقال هكذا مصادفة ولا يمكن أن ينطق بها ويؤلفها بشر عاش ووجد فى الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وإنما هى

من قول الـحق تبارك وتعـالى: «رب السمـوات والأرض وما بينهـما ورب المشارق» وصدق الله العظيم وبلغ رسـوله الصادق المصدوق الأمـين ونـحن على ذلك من الشـاهدين وبئس مـثـوى الملحـدين والمكابرين!

(١٨) يَصَّعَّدُ

من كلمات الإعجاز فى القرآن الكريم كلمة «يصَّعَّدُ» فى الآية «١٢٥» من سورة الأنعام. قال تعالى:

﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء﴾

وفى الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ورد فى تفسير هذه الآية، وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ «كأنما يتصعد» قال النحاس: ومعنى هذه القراءة وقراءة من قرأ يصعد ويصاعد واحد. والمعنى فيهما أن الكافر من ضيق صدره كأنه يريد أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك. فكأنه يستدعى ذلك. وقيل: المعنى كاد قلبه يصعد إلى السماء نبوا عن الإسلام.

وفى تقسير هذه الآية الكريمة يقول الشهيد سيد قطب فى ظلاله

«ومن يقدر له الضلال وفق سنته الجارية من إضلال من يرغب عن الهدى ويغلق فطرته عنه -يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء. فهو مغلق مطموس يجد العسر والمشقة فى قبوله- كأنما يصعد فى السماء... وهى حالة نفسية تجسم فى حالة حسية من ضيق النفس وكربة الصدر والرهق المضنى فى التصعد إلى السماء.وبناء اللفظ ذاتة «يصعد» كما فى قراءة حفص فيه هذا العسر والقبض والجهد. وجرسه يخيل هذا كله، فيتناسق المشهد الشاخص مع الحالة الواقعة مع التعبير اللفظى فى إيقاع واحد»

وتفسير الآية فى ظلال القرآن لسيد قطب لا يختلف كثيرا عن التفسير الوارد لها فى أحكام القرآن للقرطبى وبينهما قرابة سبعة قرون من الزمان فقد توفى القرطبى فى ٦٧١هـ وكلاهما يفسر الضيق والحرج فى صدر الضال بضيق نفسى ! فهى عند سيد قطب حالة نفسية تجسم أو تمثل فى حالة حسيه من ضيق الصدر وحرج الحال وكربة النفس كما فى حال التصعد إلى السماء! وعند غيره من الأقدمين حالة نفسية من الضيق والحرج تنتاب صدر الكافر شبيهة تماما بالضيق الذى ينتاب من يود ويرغب فى شىء يعلم تماما ومسبقا أنه غير قادر على الحصول عليه كمن يريد بقولهم وفى زمانهم الصعود إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك.

وكلها تفسيرات واجتهادات عظيمة تناسب زمانها ولكن فى الآية الكريمة إعجازا آخر من نوع آخَر لم يكن ليتكشف أو ليظهر بالكامل إلا فى عصرنا الحديث وذلك لأنه منذ نزول القرآن الكريم على قلب نبينا العظيم وإلى عهد قريب لم يكن أحد من بنى البشر يفكر في الصعود إلى السماء ! ولو فكر أحد فى ذلك من باب الخيال لم يكن لديهم علم وإلى عهد قريب بما يمكن أن يحدث فى صدر الإنسان إذا فرض وراح يصعد بوسيلة ما فى عنان السماء !

وشهيد الإسلام سيد قطب لقى ربه فى بداية النصف الثانى من العقد السادس لهذا القرن فى توقيت كانت فيه أبحاث ومحاولات غزو

الفضـــاء على أشدها! وفـــى ٢١ديسمبـر ٦٨ نجحت أمـريكافي إطلاق سفينـة فضاء بها ثلاثة من رواد الفـضاء للخروج من مجـال جاذبية الأرض والطواف فى مجال جاذبية القمر.

وفى ٢١ يوليو ٦٩ نجح رائـدان من رواد الفضاء الأمـريكيين فى الهبوط على سطح القمر ولأول مرة فى تاريخ البشر

وهنا بطبيـعة الحال كـان قد استـقر تماما مـن بين علوم الطب ما يعـرف بعلم «طب الفضـاء» للإهتـمام بكل مـا يدور صـحيـا وطبيـا ووقائيا وعلاجيا برواد الفضاء! وملاحظة ومشاهدة ومتابعة ودراسة كل صغيـرة وكبيرة تحدث وكل تغيـيرفسيولوجى يحـدث لكل عضو من أعضاء رائد الفضاء عبر رحلته وهو يصعد أعلى فى عنان السماء!

وأصبح من المفهوم والمعلوم جيـدا الآن السبب والتفسير العلمى والطبى والفسـيولوجى لمـا يشعر به رائد الفـضاء وهو يصـعد إلى السماء من ضيق وحرج فى صدره!

ووراء ذلك سبـبان هامان همـا نقص الأوكسجـين ونقص الضغط الخارجى فى الوقت نفسه، فالهواء تقل كـثافته كلما إرتفعنا عن سطح الأرض. إذ من المعلوم جيدا الآن أنه على سطح الأرض يضغط الهواء على أجسامنا بما يعادل كيلوجرامـا لكل سنتيمتر مربع وعلى ارتفاع مائة كـيلو متر تنقص درجـة الضغط إلى جزء من مليـون ويقال على ارتفاع ٦٣ ألف قدم وبسبب إنخفاض الضغط الخارجى قد يتحول دم

الإنسان إلى رغوة كثيفة حمراء! وقد تنفجر الأوعية الدموية بسبب قلة الضغط وبسبب خلخلة الهواء وقلة كثافته ونقص الأوكسجين بالطبع ونقص الضغط الخارجى ولذلك يصاب الصاعد إلى السماء بضيق وحرج فى صدره، كما يصاب بالإختناق والتنفس بصعوبة وعدم القدرة على التركيز أو التفكير أوالتذكر

وهنا نستطيع اليوم وبعد أربعة عشر قرنا من الزمان القول بأن الضيق والحرج فى صدرمن يصعد فى السماء ليس ضيقا نفسيا فحسب وإنما هو ضيق عضوى كنتيجة حتمية لتغيرات فسيولوجية تحدث فى جسد الإنسان بمجرد هذا الصعود ! وذكرت ذلك الآية الكريمة بصريح العبارة قبل وصول العلم لذلك بأربعة عشر قرنا من الزمان! فهل جاء هذا من باب المصادفةالبحتة؟!

هدا ولا يفوتنا فى هذا المقام ونحن بصدد البحث فى الإعجاز الوارد فى كلمة يصعد أن ننبه لما فيها من «إعجاز بلاغى» مبهر وبالغ العظمة حيث «يصعد» بتشديد الحركة على الصاد والعين غير «يصعد» بالسكون على الصاد والفتحة على العين حيث الأولى بالتشديد تليق وتناسب صعود السماء لما فيه من جهد ومشقة أكثر والثانية إنما تليق بالصعود السهل كصعود سلم أو حتى جبل! وفى ذلك آلاف الأمثلة فى القرآن لآلاف الكلمات المعجزات بلاغيا وبيانا: ومثال ذلك قوله فى سورة يوسف «وغلقت الأبواب» بالتشديد على

اللام وهى غير أغلقت أو غلقت بالفتحة على اللام حيث الأولى أنسب بلاغيا لمقام الحديث حيث يقول البعض كانت أبوابا كثيرة ربما سبعة ويقول البعض الآخر كانت تغلق الباب وتفتحه وتعيد غلقه زيادة فى التأكد من غلقه لارتباك حالها؟!

× وفى ذلك «غلقت» بالتشديد مثل «يصعد» بالتشديد من كلمات الإعجاز فى القرآن إعجازا بلاغيا وبيانا! وربما رد هنا الملاحدة من شيوعيين وعلمانيين بأن محمد ابن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام كان عربيا قرشيا ولا يستبعد وليس بغريب على مثله هذا النوع من القدرة الفذة فى الفصاحة والبلاغة وسحر البيان. ومع هؤلاء المرضى نركز على جانب الإعجاز العلمى المبهر فى كلمة «يصعد» ونسألهم ونطالب الرد بأمانة علمية:

كيف تخطر يومها أى منذ أربعة عشر قرنا من الزمان على بال وفكر بشر عاش فى الجزيرة العربية فكرة صعود الإنسان إلى السماء؟ ولو خطرت على باله من باب الحلم والخيال من أين له التنبؤ والعلم بأن ذلك يجعل صدر الصاعد إلى السماء ضيقا حرجا؟! وما مدى علم صاحب الرسالة يومها أو غيره من البشر عن الأوكسجين وضغط الهواء وعلم الفسيولوجى؟ وهل جاءت الآية هكذا مطابقة بالحرف الواحد لما أثبته العلم الحديث من باب المصادفة البحتة؟ وهل فى العلم شىء اسمه الصدفة؟!

كـلا والله وألف كـلا! وصدق الله العظـيم قال تعـالى فى مـحكم التنزيل:

﴿إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين﴾

سورة الحاقة

(١٩) يعرجون

من كلمـــات الإعـجــاز فــى القــرآن الكريم كـلمـة «يعـرجون» فى قـوله تعالى فى ســورة الحجـر الآية ١٤:

﴿ولو فـتـحنا عليـهم بابا من السـماء فظلـوا فيـه يعرجون﴾

وفى المعجم الوسيط عرج عرجا وعرجانا كان فى رجله شىء خلقة فجعله يغمز بها.

وانعـرج الشىء: انعطف ومـال يمنة ويســرة. وانعـرج القـوم عن الطريق: حادوا عنه.

ومن يتدبر الآية الـكريمة وغيـرها كثيـر فى كتاب الـله يستوقـفه ويشد انتباهه بالضرورة ما نلاحظة من التعبير فى القرآن الكريم عن اختراق السمـاء والصعود إلى السماء بفعل «يعرج» ومشـتقاته يعرج وتعرج ويعرجون ومعارج.

وحول ذلك يقول الدكتور عبدالله شـحاته فى كتابه «تفسير الآيات الكونية»: «ومن العجيب أن يذكر القرآن أســفار الفضاء كلها على أنها تتم فى مـســارات منحنيـة، والحقـيـقـة أن الفضــاء لا يعـرف الخط المســتقيم. أنظر إلى قوله تـعالى فى سورة المعـارج الآية ٤ ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾.

وفى سورة سبأ الآية ٢ ﴿يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها

وما يـنزل من السمـاء وما يعـرج فيـها وهو الرحـيم الغفـور﴾ وفى سورة الحجر الآية ١٤ ﴿ولو فتحنا عليـهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾.

وحين انفتح أمام الإنسان باب الوصـــول إلى القمر ورحل إليه مرة بعد أخـرى رأى نفســه ينطلق فى مســارات منحنية أو مـتعـرجة ولا يسير فى خطوط مستقيمة».

× والحـقـيقـة التى أثبـتـها الـعلم الحديـث وأصبـحت اليـوم من البديهـيات والمسلمـات أن السماء ليـست فضاء ولا فـراغا كمـا كان يعتقد الأقدمون! وإنما فى السمـاء كما هو معلوم حاليا آلاف المجرات وبكل مجرة آلاف النجـوم! كل منها كشمسنا ومـجموعتنا الشمـسية فـيهـا مـا هو مـعـروف من الكواكب وغـيرها الآلاف مـن الأجســام الصغيـرة المعروفة باسم «النجـيمات» أو السيـارات الصغرى وهناك «المذنبـات» و«النيازك» وغـيرها كـثير! ومـا كنا نحســبه فـراغا بين النجوم والكواكب ليس بفراغ أو فـضاء فى حقيقة الأمـر فهناك دائما بين هذه النجـوم والكواكب والنجيـمات مـادة رقيـقة ملأ هذا الـعالم المهول من غاز الإيدروجين بالإضافة إلى جسيمات من التراب.

×× هذا ولكل وحدة من هذه النجوم والكواكب جاذبيـتها الخاصة ومجـال جاذبيـتهـا الخاص ولكى نخـرج من جاذبية نجـم أو كوكب ونصعد أو ندخل مجال جاذبية كـوكب أو جسم آخر مختلف الجاذبية

عما بجواره لابد من التعرض لانكسارات وانحناءات والصعود عموما عبر هذا العـالم المهول وعبر مـجالات «مختلفـة الجاذبية» لا يتم أبدا عبـر خط أو مسار مسـتقيم وإنما عـبر مسـارات منحنية ومتعـرجة بالضرورة كما ثبت أخيرا.

× ولسنا هنا فى مـقـام البـحث العلمى المـتـخـصص فى ظاهرة المسار المـتعرج لكل صاعـد فى عنان السماء وأسبـاب ذلك فهذا من شأن المـتخـصصين من عـلماء الفلك وما يـكشفه العلم الـحديث من جديد يوما بعد يوم! ولكن المهـم فى هذا المقام أن ما تأكدنا منه الآن ولمسناه وعلمناه وشاهدناه بعد وصول الإنسان للقمر وأصبحنا على يقين مـنه عين اليقـين أن كل صاعـد فى السمـاء وكل صاروخ عـبر الفضاء «يعرج» فى مسـاره! وأن هذا الذى ثبت لنا اليوم سبق وذكره النص القرآنى الكريم فى أكـثر من آية قبل وقوعه وثبـوته لنا بأربعة عشر قرنا من الزمان؟! فهل يمكن أن يكون ذلك نصا بشريا؟!

× هل يمكن أن تكون من قـول وتأليف بشر كلمة «يعـرجون» فى الآية الكريمة:

﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾.

× وهل يمكـن أن تكون من قـول بشـــر كلمـة «يعـــرج» فى الآية الكريمة:

﴿يعلم ما يـلج فى الأرض وما يخرج منهـا وما ينزل من السـماء

وما يعرج فيها﴾.

× إن الصعود إلى السماء ما كان ليخطر على بال بشر عاش فى الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان! ولو خطر ذلك على بال بشر يومها ولو من باب الخيال ما استطاع أن يصف كيفية هذا الصعود؟!

× إنه إعجاز الكلمة فى القرآن! كلمة واحدة مثل كلمة «يعرجون»! تتأملها جيدا فى موضعها من الآية وتمعن النظر فيها جيدا فتخرج بنتيجة حتمية لا تحتمل الجدل أو المناقشة وهو أن هذه الكلمة من المستحيل أن يقولها بشر فى وقت قولها ونزولها أى فى القرن السادس الميلادى! ومن المستحيل أن يكون قولها يومها جاء هكذا من باب الصدفة؟!

وهذا ما يقوله ويعلق به العالم الكبير أستاذ الفلك الدكتور محمد جمال الدين الفندى حول كلمة «يعرجون» فى الآية الكريمة وغيرها من كلمات معجزات فى كتاب الله الكريم.

× وهذا هو رأى العلماء حقا وصدقا! وأما الذين فى قلوبهم مرض من الملحدين وأعداء الدين والذين ينكرون القرآن كوحى ونص إلهى فهم البؤساء حقا!

×× ومصيبة هؤلاء الملحدين والمحزن والمحير فى أمرهم أنهم ينسبون لأنفسهم الإيمان والتمسك بالعلم وحده والمنطق والمادة

والمحسوس والفيزيقا وينسبون للمؤمنين التعلق بالخرافه والغيبيات والميـتافيـزيقا! ونسألهم مـن منطلق علمى بحت: هل يمكن أن تكون كلمات «يعـرجون» و«تعرج» و«يعـرج» فى هذه الجزئية وفى مـجال الكلام عن الصعـود إلى السماء قد جاءت هكذا علـى لسان بشر ومن تأليف بشر وبـمحض الصدفـة جاءت موافـقة تمامـا لما أثبـته العلم الحديث بعد أربعة عشر قرنا من الزمان؟!

× كلا والله! وألف كلا!!

﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى﴾

٣-٤ النجم

(٢٠)
لحافظون

من كلمات الإعجاز فى القرآن الكريم كلمة «لحافظون» فى قوله تعالى فى سورة الحجر الآية التاسعة:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾

× فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن يقول القرطبى فى قوله ﴿وإنا له لحافظون﴾ «قال قتاده وثابت البنانى: حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلا أو تنقص منه حقا. فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظا، وقال فى غيره «بما استحفظوا» فوكل حفظه إليهم فبدلوا وغيروا».

والقول عن غير القرآن «بما استحفظوا» ورد فى الآية ٤٤ من سورة المائدة حيث قال تبارك وتعالى ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾.

وعن ذلك يقول سفيان بن عيينة: «فى قول الله تبارك وتعالى فى التوراه والإنجيل ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾ فجعل حفظه إليهم فضاع وقال عز وجل ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع».

× وفى هذه الآية الكريمة يقول شهيد الإسلام سيد قطب:

«ولقد بذل أعداء هذا الدين -وفى مقدمتهم اليهود- رصيدهم من

تجـارب أربعـة آلاف سنة أو تزيد فى الكيـد لدين الله. وقـدروا على أشياء كـثيرة.. قدروا على الدس فى سنة رسـول الله صلى الله عليه وسلم وعلى تاريخ الأمـة الرسـلاميـة. وقدروا على تزوير الأحـداث ودس الأشـخـاص.... ولكنهم لم يقـدروا على شىء واحـد والظروف الظاهرية كلها مـهيأة له: لم يقدروا على إحـداث شىء فى هذا الكتاب المحفوظ الذى لا حماية له من أهله المنتسبين إليه وهم بعد أن نبذوه وراء ظهورهم غثاء كغثاء السيل لا يدفع ولا يمنع فدل هذا مرة أخرى على ربانية هذا الكتاب وشهدت هذه المـعجزة الباهرة بأنه حقا تنزيل من عزيز حكيـم. لقد كان هذا الوعـد على عهد رسـول الله صلى الله عليه وسلم مجـرد وعد. أما اليوم من وراء كل تلك الأحـداث الضخام ومن وراء كل تلك القرون الطوال. فهو المـعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب والتى لا يمارى فيها إلا عنيد جهول:

-«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون- صدق الله العظيم»

× والقرآن الكريم كـتاب الله وحده من بين كل ما عـرفت البشرية والخليقة من كتب منذ نشأتها وحتى الآن وإلى يوم يبعثون تم حفظه بالتواتر! أى يحـفظه جماعـة عن جماعة مـنذ لحظة نزوله وحتى الآن وإلى قيام الساعة بمشيئـة الله! رغم ما جد من أساليب للحفظ حديثه من طبع وتسـجيل مازال التـواتر والحفظ عن مـشايخ ومعـلمين فى الكتاتيب والمـعاهد فى شتـى أنحاء العالم الإسـلامى هو الأساس فى

حفظ القـرآن وتجويد قراءته! الأمـر الذى لم يتوفر لـكتاب من الكتب الإلهية منها والبشرية على حد سواء!

وعـما حـدث للتوراة والإنجـيل مقـارنا بمـا توفر للقـرآن فى هذا الشأن يقول شهيد الإسلام سيد قطب:

«وينبـغى أن نذكر أن ما يـسمى بالكتـاب المقدس سـواء فى ذلك العهد القديم المحتوى على كتب اليهود أو العهد الجديد المحتوى على أناجيل النصارى ليس هو الذى نزل من عند الله. فالتوراة التى أنزلها على موسى قـد حرقت نسـخها الأصليـة على يد البابليـين عند سبى اليهود. ولم تعد كتابتها إلا بعد قرون عديدة قبيل ميلاد المسيح بنحو خمسـة قرون وقد كتبهـا عزرا وقد يكون هو عزير وجمع فيـها بقايا من التـوراة. أما سـائرها فهـو مجـرد تأليف! وكـذلك الأناجيل فـهى جميعـا لا تحوى إلا ما حفظته ذاكرة تلامذة المـسيح وتلامذتهم بعد نحو قرن من وفـاة المسيح عليه السلام ثم خلطت به حكايات كـثيرة وأساطير..»

وبرهان حفظ القرآن وعدم حفظ غيـره بقاء القرآن بين أيدينا بغير عوج أو انحراف أو اختلاف: قال تعالى فى سورة الزمر الآية ٢٨:

«قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون»

وقال تعالى فى سورة النساء الآية ٨٢

«ولو كان من عند غير الله لو جدوا فيه اختلافا كثيرا»

وهيـهات وأنـى لمخلوق أن يخـرج منه عـوجـا أو يضع يده على اختلاف فـيه؟! وهو كذلك محـفوظ بغير عوج أو اخـتلاف منذ نزوله وإلى الآن وحتى قيام الساعة بإذن الله!

أما غيره من الكتب المقدسة الموجودة بين أيدينا حاليا فما أكثر ما ورد فيها من عوج وانحراف واختـلاف وتبديل وتحريف وما أكثر ما طالهـا من إسـرائيليـات واضحـة وظاهرة للعـيـان بسهـولة ويسـر وأخطرها شأنا ذكر وقـوع الزنا بين المحارم فى بيوت الأنبيـاء! كما ورد والعياذ بالله فى حق لوط عليه السلام مع إبنتيه البكر والصغيرة ومـا حـدث فى بيت داود عليـه الســلام من إبنه «أمنون» مع أخـتـه «ثامار»؟!

والإعجاز فى قوله تعالى «وإنا له لحافظون» لا يقتصر على حفظه منذ نزوله وحتى قيام الساعة دون تحريف أو تبديل وإنما هناك وجه آخـر للإعجـاز فى كلمة «لحـافظون» يدركـه جيـدا أصحـاب الفطرة السليمة ممن يتأملونها بعقل مفتوح وفكر محايد وقلب سليم ومنطق بديهى: ذلك لأن الذين ينكرون كتاب الله ويعـادون الإسلام يعتقدون أن القرآن من وجهة نظرهم من وضع بشر!

وهذه الكلمـة بالذات لا يقـولها بشـر أبدا إن كـان هو الذى وضـع القرآن؟! وذلك بالعقل والمنطق والبديهة!

وذلك لأن كل إنسـان يعلم جيدا أنه مـيت لا محـالة مهـما طال به

الأجل! فمن أين له ضـمان حفظ كتابـه بعد مماته حتى يـجزم ويقرر ذلك فى حياته؟!

× إننا حتى اليوم وفى عصرنا الحـديث نشـهد ونسمع يوميا وكل ساعة عن سرقات تقع على أعمال فكرية وأدبيـة كبرى قديمة وحديثة بل وعلى رسائل دكتوراة واكـتشافات واختراعـات علمية عديدة رغم كل وسائل التحقيق والتوثيق الحديثة بين المحققين والباحثين! بل إن بعض هذه السرقات تحدث أحيانا فى حياة أصحاب العمل!

× فمن من البـشر فى الجزيرة العـربية منذ أربعة عشـر قرنا من الزمان يضع كتـابا وينسبه للخالق ثم يجزم بأنه محـفوظ من بعده؟ وهل يصنعها أو يقدم عليها بشر بأى حال؟

فماذا لو جرى الزمان على كتابه من بعده بما حدث لغيره من كتب كالتوراه ووقع التحريف والتبديل والزيادة والنقصان؟

أيكون من الحكمة والعقل لو كـان الذى وضع الكتاب من البشر أن يذكر فـيه كلمة كـهذه ويعرض دعـوته حين لا تصدق نبـوءته للقيل والقال والتجريح والتكذيب فينفض الأتباع والأنصار؟!

× لا والله لا يقولها بشر أبدا! وإنما يقولها صاحب الذكر وصاحب التنزيل وعـالم الغيب والشـهادة وحافظ الكـتاب الرحمن علـم القرآن وصدق الله العظيم:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾

الخاتمة

هذا جهد المقل وقليل من كثير وغيض من فيض وعلى سبيل المثال وليس الحصر بالتأكيد ففى كتاب الله من هذا النوع المعجز من الكلمات آلاف الكلمات فى شتى مجالات المعرفة منها ما ظهر سر إعجازه لنا ومنها كنوز لم يتم الكشف بعد عن مكنون عظمتها ولا أن الأوان بعد لمعرفة سر إعجازها فمن المقدر فى علم الله أن يكون الكشف عنها من نصيب أجيال مقبله وهكذا إلى قيام الساعة فقد قال الصادق المصدوق بحق عن القرآن «ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه» نعم لا تنقضى عجائبه حتى تقوم الساعة وإلى يوم يبعثون!

ولك أن تتأمل على سبيل المثال قول الحق تبارك وتعالى فى سورة الأنبياء الآية ٣٠:

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾

ولسائل أن يسأل: ما «الرتق»؟ وكيف تم «الفتق»؟

وقد نعجز عن الإجابة الصحيحة فى زماننا! ولكن المؤكد والذى لا خلاف عليه أنه يوم يصل العلم والعلماء لنظرية صحيحة ومؤكده عن أصل ونشأة هذا الكون سوف يظهر يومها للعيان مدلول هذه الكلمات المعجزات ومدى مطابقتها بالحرف الواحد لما يثبته العلم الأكيد فى

نهاية المطاف.

ومن هذا النوع من الكلمات فى كتاب الله الكثير فالقرآن لا تنقضى عجائبه وفيه من ذلك ما يكفى الناس لآخر الزمان وإلى أن تقوم الساعة!

إنها كلمات معجزات لا يضعها ولا يقولها بشر بأى حال من الأحوال عاش فى الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ولا يمكن أن توضع أو تقال هكذا من باب الصدفة أو من فراغ أو بغير مدلول أو من باب البلاغة وتحسين الكلام وبالصدفة يطابق مدلولها ما يثبته العلم بعد أربعة عشر قرنا من الزمان وزيادة؟!

× نقول ذلك لمن أراد الهدى ونقوله أيضا لفريق البؤساء المحدثين فى قافلة الملحدين وأعداء الدين والذين يرفعون مؤخرا بهمة ونشاط شعاراتهم المريضة والخبيثة من نوع: «التحرر من سلطان النص» و«من الأسطورة إلى العقل» و«لا سلطان على العقل إلا للعقل» ونحن نناشد ونخاطب فيهم العقل! ولا نطلب منهم غير استخدام عقولهم بأمانة! ولا نحتكم معهم إلا لهذا العقل! ونسألهم بالعقل: هل يمكن أن تكون كلمات من هذا النوع الذى سردناه عبر هذا الكتاب من وضع وتأليف بشر عاش فى الجزيرة العربية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان؟ وما ردهم وما قولهم لعلماء ودكاترة فى تخصصاتهم سلموا وأقروا بالإعجاز المبهر فى كتاب الله فى أدق

الأمور فى صميم تخصصاتهم؟ أم هم أعلم منهم بالجديد فى الطب والفلك والفضاء والجيولوجيا وشتى مجالات المعرفة؟! أم لهم عقول يرفعون من سلطانها وهؤلاء العلماء الأفذاذ بغير عقول؟!

× نسأل الله الهداية لكل ضال ونسألهم النظر بالعقل فى كتاب الله وآياته وكلماته المعجزات قبل فوات الأوان فالله سبحانه وتعالى حق والبعث حق والحساب حق! ووالله ما بعد هذه الدنيا من دار إلا الجنة أو النار وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا!!

وصدق الله العظيم قال تعالى فى محكم آياته:

﴿فـآمنوا بـالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾

١٥٨ الأعراف

رقم الأيداع ٢٩٥٤ – ٩٧
I.S.B.N 977 - 5806 - 00 - 3
الناشر : مركز المجتمع الاعلامى – القاهرة
ص ب ٣٦ القلعة
الرقم البريدى ١١٤١١
ت ٢٧١٧٦٥١

فهرست